اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم

الدكتور موسى عبد السلام مصطفى أبيكن

اللغة:

اللغة نظام عرفي لرموز صوتية، ويشتغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض[١] أو أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[٢]. وهي أداة التفاهم بين الأسرة الواحدة، والشعب الواحد، والأمة الواحدة. وهي أول وسيلة لتحصين الثقافة، وتكوين الحضارة[٣]. فاللغة هي الوسيلة المباشرة لنقل الشعور، والعواطف، من ذهن إلى ذهن، ومن شخص إلى شخص. وهي التي تترجم عن أفكار الأمة في آمالها وآلامها، فهي إذاً رباط الوحدة، والإخاء، وأداة التضامن، والتفاهم، والتعاون، بين أفراد الشعب والأمة.

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ثقافتهم واحدة، مبنية على القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وأداتها هي اللغة العربية التي لا يختلف فيها عربهم وعجمهم، لذلك ظلوا أمة لامثيل لها في عالم العقيدة، وعالم العبادة، وعالم الاجتماع [٤]. وصدق من قال:

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة[٥]
فليس يحفظ دين إلا بحفظ اللغات

اللغة العربية ومزاياها:

إن للغة العربية من الفوائد خزائن لا تنفد، وكنوزاً لا تفنى، وعيوناً لا تنضب، ولكن لا يصل إليها إلا من غاص في بحرها، وولى وجهه شطرها، وسبر كنه أغوارها. ومن مزاياها أنها تمتاز على سائر اللغات، كونها أوسع من

غيرها، وأكثرها طرقاً في فن الكتابات، وأفصحها مقالاً، وأفسحها مجالاً، وأوفقها للنظم طباعا، وأطولها في النثر باعاً[٦].

نُزِّلت على رسول الله بكتاب عربي مبين، تلاوته من أعظم العبادات عند جميع المسلمين، فما دام هذا الدين قائما، كان هذا اللسان موجودا دائماً. وقد أثنى على هذه اللغة، الدكتور عيسى ألبي أبوبكر[٧] إذ قال:

ما أجمل الضاد! [٨] في دنيا الجمال إذا ... أعيد في القوم يوم الزينة الكم [٩]
أداؤها آية الآيات تحرسها ... عين الإله فلا يغتالها العدم
إذا تتبعت أسرار البيان ترى ... فيها أفانين قول زانها الحكم
وصوتها اللذ في أفواهنا شهد ... تمج في سمعها الأوتار والنغم
تدوم دولتها فينا على مضض ... من الأعادي وترجو عزها الأمم
أضحى مقامك بعد اليأس يحمده ... من ليس في قلبه عن أمرها سأم
أرى شبيبة قومي يحفلون بها ... ولا يصدهم عند العدى ألم

فزبدة القول: إنَّ من أحب الله، أحب رسوله العربي، ومن أحبه، أحب العرب، ومن أحبهم، أحب اللغة العربية، ومن أحبها، عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، فإن العرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تعلمها من الديانة، إذ هي أداة العلم وواسطة التفقه في الدين[١٠].

اللغة العربية في غرب إفريقيا:

للغة العربية أهمية كبيرة في غرب أفريقيا، ولها تاريخ قديم في المنطقة. عبرت الثقافة العربية الصحراء الكبرى من شمال أفريقيا إلى غربها، بسبب العلاقات التجارية بين أفريقيا، وسكان غربها. وكانت هذه التجارة، نقطة انطلاق للغة العربية وآدابها في غرب أفريقيا[١١]. ومن هنا بدأ تجار المنطقتين

يستخدمون اللغة العربية في البيع والشراء. وبمرور الزمان، انـدمجت بعـض الكلمات العربية في اللغة المحلية لكثـرة اسـتعمالها، وخاصـة، بعـد انتـشار الإسلام.[١٢] وكفى الإسلام فخرا أن المسلمين هم أول من عرف القراءة والكتابة في غرب أفريقيا[١٣].

وقد توسعت الثقافة العربية بعد أن أصبحت مملكة غانا دولة إسلامية، وبعد سقوط غانا واختفائها، بدأت مملكة مالي تلعب الأدوار التي تلعبها مملكـة غانـا الإسلامية سابقا. ولمدينة تمبكتو، ومسجد سنكوري، فضل عظيم في بث الثقافـة العربية الإسلامية. وفي مسجد سنكوري، تخرج عدد لايستهان به مـن العلمـاء المحليين؛ لأنه بمثابة جامعة الأزهر بمصر[١٤].

أما انتشار الثقافة العربية الإسلامية فيما يعرف بنيجيريا اليـوم، فالفـضل الأكبر يرجع إلى دولة مالي[١٥]، بفضلها انتشرت الثقافة العربية الإسلامية مـن مملكة برنوثم إلى ولايات هوسا، وبلاد يوربا[١٦]. والحقيقـة أن اللغـة العربيـة انتشرت في غرب أفريقيا مع انتشار الإسلام فيها، وتأسست الممالك والدول التي اشترك فيها العرب والعجم في غانا، ومالي، وسنغى، وبرنو. واعتنـى الملـوك والأمراء بشأن التعليم، واستعانوا بالعلماء فـي تفهـم أمـور الـدين، وتطبيـق الشريعة، فاضطر العلماء إلى التعمق في قواعد اللغة وآدابهـا، وفـي أصـول الشريعة وفروعها، فقصدوا بلاد العرب المجاورة لهم للاستفادة، واستقدموا إلـى بلادهم العلماء العرب لنشر العلوم بينهم حتى نبغ الكثيرون، فألفوا الكتب، وقالوا الأشعار في الأغراض التي تناسب بيئتهم[١٧].

اللغات الرئيسة النيجيرية:

اللغة وعاء حضارة كل أمة، وضرورة من ضرورات الحياة، يضطر إليهـا الإنسان في حياتهم الاجتماعية، والثقافية، والسياسية. وهي ظاهرة امتـاز بهـا

الإنسان دون غيره من الكائنات لنقل الأمور، والعواطف، من ذهن إلى ذهن، كما هي رباط الوحدة والإخاء بين الأفراد والشعوب المختلفة[١٨]، وفي نيجيريا وحدها أكثر من أربعمائة لغة مستقلة تتكلم بها كل قبيلة[١٩] إلا أن ثلاثا منها تعتبر لغات السواد الأعظم. أهمها لغة هوسا التي امتازت على سائر اللغات بغرب أفريقيا لخفتها، وسهولة التعبير بها، وانضباطها بقواعد ثابتة كالعربية [٢٠]. ويبلغ عدد من يتكلم بها كلغةٍ أصيلة أربعين مليون نسمة[٢١]، ماعدا من يتكلم بها كلغة ثانوية من سكان الإقليم الشمالي كالفلانيين[٢٢]، والبرناويين[٢٣]، والنوفاويين[٢٤]، وغيرهم. وقد انتشرت لغة هوسا في غرب أفريقيا بسبب انتشار قبائلها للتجارة، والسياحة، وتكوينهم جاليات كبرى في كل قطر، وفي كل مدينة هامة.

ومن اللغات المعتمدة في نيجيريا بعد هوسا، لغة إيبو[٢٥] التي يتكلم بها ما لايقل عن خمسة عشرين مليون نسمة. أما لغة يوربا[٢٦] فهي التي تحتل الدرجة الثالثة بين لغات نيجيريا، كثرة وانتشاراً، ويبلغ عدد المتكلمين بها عشرين مليون نسمة، ما عدا القاطنين في بلاد الداهومي، وتوغو، وغانا، وساحل العاج، وهم لايقلون عن ثلاثة ملايين في تلك الأقطار[٢٧].

اللغة العربية في نيجيريا:

اللغة العربية إحدى اللغات السامية القديمة، وكانت قبل الإسلام لغة أدب رفيع، من شعر ونثر، ذات أخبار، وأسمار، وأمثال، وحكم، ونوادر، وألغاز، وأحاج، وأقاصيص[٢٨]. ثم تحسنت حالتها بعد الإسلام بفضل القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، حيث نشأت العلوم التي تقوم اللسان، وتميز صحيح الكلام من فاسده[٢٩]. ولقد لعبت، ولاتزال، تلعب أدواراً هامة، في ميدان العلم ،والتاريخ، والفلسفة ،والآداب، والسياسة، والاجتماع[٣٠].

ويرجع تاريخ التعليم العربي في نيجيريا إلى وقت توغل الإسلام إلى هـذه البلاد – نيجيريا – وقبل ظهور الشيخ عثمان بن فوديو، مؤسس الدولة الإسلامية بصكتو شمال نيجيريا بعدة قرون. وقد ساهم في هذا الميدان كثير من المغاربـة الذين يمرون بها في طريقهم إلى الحج، ذاهبين أو عائدين، وعلى رأسهم، محمد ابن عبد الكريم المغيلي، وأحمد بابا التمبكتي، وغيرهما[٣١].

ومنهم النيجيريون الذين درسوا في الأزهر الـشريف كمحمـد الأمـين[٣٢] وغيره، وعندما قام الشيخ عثمان وأنصاره بالجهاد لنشر الإسلام في أوائل القرن التاسع عشر كان أكبرهمهم بعد تحطيم الوثنية نشر مبادىء الصحيحة، والثقافـة العربية. وما إن تم لهم النصر، حتى أخذ كل واحد منهم من حملة الألوية يـنظم إمارته حسب النظم الإسلامية، ويستشير الشيخ عثمان في كل مـشكلة تعـرض لها[٣٣].

الأهداف الرئيسة من تعلم اللغة العربية في نيجيريا:

لكل مادة تدرس لها أهدافها الخاصة بها، فالأهداف التي تـدفع النيجيـريين إلى تعلم اللغة العربية تتمثل في النقاط الآتية:

١ - الغرض الديني:

تدفع المسلم النيجيري إلى تعلم اللغة العربية أغراض أساسية منها: الـدين الإسلامي؛ فهي لغة القرآن الكريم، والحديث النبـوي الـشريف. فالإلمـام بهـا ضروري كى يساعده على فهم دينه فهماً لاتشويه فيه؛ لذلك، يتعلمهـا المـسلم، وهو في سن مبكرة[٣٤]. أما الإسلام فقد التزم العربية كـل الالتـزام، فللعربيـة تاريخ متصل بالإسلام، وللإسلام جذور عميقة في العربية، وهي التعبد بـتلاوة

القرآن، داخل الصلاة وخارجها، والحج وأذكاره، تقال باللغة العربية. فقد فرض الإسلام على كل مسلم ومسلمة أن يؤدي صلواته، خمس مرات كل يوم، إماماً كان أو مأموماً، وأن يؤذن، ويقيم، ويكبر، ويهلل، ويتشهد باللغة العربية، ورتب ثواباً جزيلاً لكل من يقرأ القرآن، سواء فهم معناه أو لم يفهم. فامتزجت العربية بالإسلام امتزاج الروح بالجسد(٣٥).

٢ - الاتصال الخارجي:

إن واقع الأمور في العالم الحاضر، يجعل -من الضروري- على كل دولة مستقلة أن تؤسس العلاقات الثنائية بينها، وبين البلدان الأخرى لأسباب سياسية، واقتصادية، وثقافية، وتكنولوجية، وتمارس نيجيريا، ضمن هذا النطاق العلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، مع كل أنحاء العالم بما في ذلك البلدان العربية(٣٦).

٣ - الثقافة الأفريقية:

إن دراسة اللغة العربية تساعد بالفعل على معرفة الوثائق التاريخية، والمصادر الأساسية لتاريخ ثقافة أفريقيا الغربية المكتوبة باللغة العربية بما فيها نيجيريا(٣٧)، وقد أثبت المؤرخون غير المسلمين أن كتابة تاريخ أفريقيا بصورة كاملة وصحيحة، لاتتم إلا بالرجوع إلى ما سجله علماء اللغة العربية عن أفريقيا(٣٨).

٤ - فرص العمل:

إن تعليم اللغة العربية يعطي فرصة العمل في المؤسسات الحكومية بأنواعها الثلاثة: (الفيدرالية، والولائية، والمحلية). ويساعد – على وجه خاص – حكومة نيجيريا في شؤون الحج، وخدمات أخرى تعود بالنفع الجليل على البلد وشعبه.

وهناك أهداف إضافية أخرى كالدعوة الإسلامية، ونقل آداب الأمم الأخرى إلى اللغة العربية والعكس.

أهمية اللغة العربية وأسبقيتها إلى نيجيريا من لغات أخرى:

إن اللغة العربية هي إحدى اللغات الرسمية في منظمة الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة[٣٩]، يضاف إلى ذلك، أنها لغة القرآن الكريم، الدستورالإلهي، الذي يجب على كل مسلم أن يعرف قدراً يسيراً منه لأداء شعائره الدينية على نمط خاص.

وقد اتفقت آراء الباحثين النيجيريين قديماً وحديثاً، على أن اللغة العربية قديمة، وعريقة فيها، إذ يرجع تاريخ دخولها إلى هذه البلاد إلى تاريخ دخول الإسلام فيها[٤٠]. ولا أدل على ذلك، من وجود علماء نيجيريين، تبحروا في علوم اللغة العربية من: النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والشعر، والخطابة[٤١] ومنذ ذلك الحين، تؤدي العربية أدواراً حيوية في المجتمع النيجيري، ليس في مجال الدين فحسب، بل في ميادين أخرى كالسياسة، والاقتصاد، وفي السلك الدبلوماسي.

وتتمثل أهمية اللغة العربية في أنها تسهم في محو الأمية، وفي تعليم كبار وصغار مسلمي نيجيريا قبل مجيء المستعمرين وبعد مغادرتهم ثم إن اللغة العربية – بلا أدنى شك – مقبولة لدى جمع غفير من الشعب النيجيري. والدليل على ذلك، أن جل سكان هذا الوطن الكبير مسلمون، واللغة العربية جزء لايتجزء من الإسلام. أضف إلى ذلك، أن عددا كبيرا من مفردات اللغة اليوربوية[٤٢]، واللغة الهوساوية، والفلانية[٤٣]، من أصل عربي.

دخلت الكتابة العربية إلى نيجيريا بدخول الإسلام، وكان علماء هوسا، ويوربا، يكتبون لغتهم بالحروف العربية، ويسمونها "الكتابة الأعجمية". لقد كتبوا بها عدة كتب علمية أدبية دينية[٤٤]، ومن الغريب أن علماء اللغة العربية في نيجيريا، كتبوا بعض مؤلفاتهم في مختلف الأغراض، على نمط الحروف

الأعجمية، شعراً ونثراً، بدافع الغيرة الإسلامية، والثقافة العربية. ومن أمثلة ذلك، قول أحدهم يعرب عن ارتياحه بالله وبالرسول وبرسالته التي جاء بها، وبأمير كناغم، باللغة الهوساوية، إذ قال نظماً:

نا غود الرحمن سركي وندبى كوتا يبى كوونم بى وارابا[٤٥]
يابا مسلمي شي يبيوا كافري نن دونيا بحطام بى ذابى با[٤٦]
ارحيم سركن جنقى رن لاحرا سى صالحين اكى بى باكووابا[٤٧]
شينى نفركو دود قرشى ان سنى فركود قاربو بكاغ يشيبا[٤٨]
شي يى محمد وندباب كما تسى ون النبى با ينس با ذى ذوبا[٤٩]

وهذه الأبيات مأخوذة من قصيدة طويلة حديثة، قالها أحد شعراء نيجيريا المحليين في مدح أمير كناغم. وقد استفتحتها بالثناء على الله تعالى، وعلى رسوله الكريم في الأبيات الخمسة الأول، ثم استطرد في ذكر مناقب ممدوحه فوصفه بالسخاء، والكرم الحاتمي، والعدل، ثم اختتمها بالثناء على الله أيضا على الطريقة التقليدية. ويبدو أن الشيخ عبد الله بن فوديو هو الذي استن هذه الأشعار الأعجمية في أشعاره العربية، والفلانية، والهوساوية، وما زال الشعراء المحدثون يقلدون طريقته إلى اليوم.

وإليك مثال آخر باللغة الفلانية، وجميع أبياتها تنتهي بكلمات عربية:

مديت مجدو وتغظيم حنان ستارنوا شحر يطويم منان[٥٠]
الحمد لله ميتتربيم نون نومو حاند لمل تغبفود وأخوان[٥١]
مد يتو بنو ذات بتر ذات مم فنوج العرش يدوم دو ملوان[٥٢]
مديت أند طو غش أم مجي سرى غييوج فوغم إندمم رحمان[٥٣]
سبحان جنتر يطو ذات ولائك مولابو فطم توو لابو مكان[٥٤]

وهذه القصيدة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وهي طويلة تحتوي على الثناء على الله، ومدح رسوله، والخلفاء الراشدين، والصالحين

عامة، وعثمان بن فوديو خاصة، فهي تشبه القصيدة العربية الإلهية، في كثير من الوجوه.

وعلى الرغم من الاستعمار البريطاني قبل استقلال نيجيريا، وبعده، فإن عدد الذين يعرفون الكتابة بالحروف العربية، اضعاف اضعاف من يعرفونها بالحروف اللاتينية في شمال نيجيريا(٥٥)، ومن الأهمية بمكانتها، أن الشيخ عبد الرؤوف المصري، المدرس بمدرسة العلوم العربية بكنو سابقا، كتب موضوعا في مجلة المدرسة، العدد الأول منه، عام ١٩٦٥م، بعنوان "هل الحوسوية أخت العربية أو بنتها؟".

وربما السبب في ذلك يرجع إلى أن الكاتب التقط مائتى كلمة، استعارتها لغة هوسا من العربية زهاء خمس سنوات من قدومه إلى نيجيريا. ومن الغرابة في شيء، أن عليا أبا بكر – مؤلف الثقافة العربية في نيجيريا، استطاع أن يحصل على مايربو على ألف وخمسمائة كلمة من اللغتين – الحوسوية والفلانية – المستعارة من اللغة العربية(٥٦).

وليست أشعار العلماء وحدها هي التي تأثرت بالقافية العربية، بل، شعر العامة أيضاً. وهذا يؤكد لنا أن النيجيريين معجبون بالثقافة العربية. ويمكن تفسير استعارة شعراء نيجيريا بكثرة من الكلمات العربية في أشعارهم بسببين: أحدهما: ضيق نطاق اللغات المحلية إذا قيست باللغة العربية. ثانيهما: حب الإظهار عند بعضهم بتضلعه في اللغة العربية(٥٧).

من دواعي الانتصار للغة العربية في نيجيريا:

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أغار المبشرون بخيلهم ورجلهم على بلاد نيجيريا، شمالا وجنوبا، فوقف المسلمون لهم بالمرصاد، خصوصا في

الشمال، ولكنهم بالجنوب وجدوا مجالاً واسعاً لاحجر فيه، فمدوا فيه رواقهم وارفة الظلال، رغم أنهم وجدوا في أكثر المدن الجنوبية مدارس قرآنية في دهاليز المساجد، وبيوت العلماء، لكنها كانت حيلولة لهم في الشمال[٥٨].

حيث لم يجدوا إقبالا عظيماً من أبناء المسلمين في إغرائهم على تعلم الانجليزية، فوقعوا في الأوساط الوثنية، وفي القرى الريفية، فاقتنصوا عددا من أبناء الفقراء، والفلاحين بتاثير دعاياتهم المغرضة المعززة بالثروات، فنجحوا على قاعدة الأثر القائل: "إذا ذهب الفقر إلى بلد، قال الكفر خذني معك" فضاعت من هؤلاء الفقراء عقيدتهم الإسلامية، واستبدلوها بالنصرانية إلا قليلاً منهم في الشمال والجنوب[٥٩].

لذلك، قام حماة الإسلام ينصحون المسلمين؛ ليأخذوا حذرهم من الوقوع في حبائل التبشير، فتقهقر الأكثرون من إدخال أبنائهم في مدارس التبشير على حين أن المدارس الحكومية غير التبشيرية، لاتزال قليلة أو عديمة الوجود.

ومن دواعي انتصار للغة العربية ما يأتي:

أولاً: اعتقادنا بأن العربية جزء لا يتجزّأ من الإسلام، ولايتجزأ، لأنها لغة القرآن، ولغة العبادات في الصلوات اليومية، ونسك الحج السنوية.

ثانياً: اعتقادنا بأن تجريد العربية عن الإسلام، واعتبارها لغة حية من لغات العالم، مؤامرة يدبرها اعداءها للقضاء على الإسلام وعلى العربية معاً[٦٠].

ثالثاً: رسوخ الثقافة العربية على تربة نيجيريا بقرون عديدة.

رابعاً: مكانة اللغة العربية بين لغات العالم، وبأن الحقائق التاريخية وغير التاريخية في غرب أفريقيا بشكل عام، وفي نيجيريا بشكل خاص، مسجلة باللغة العربية.

آخِراً: اعتقادنا أن الفهم الصحيح للإسلام، لايتم عن طريق الكتب المترجمة من لغات أخرى، بل، يتم بالأخذ المباشر من أصول الكتب المكتوبة باللغة العربية.

ومن المعلوم، أن اللغة العربية لاتزال تقوى مع قوة الإسلام، وتضعف بضعفه، في كل ناحية يوجد فيها المد والجزر، والانتشار والانحسار. وكانت نيجيريا من البقاع التي أشرب في قلوب أهلها حب العربية، حتى ظهر فيهم أعلام سجل التارخ أقلامهم في الشعر والنثر منذ خمسمائة عام مضت إلى أن دخل الاستعمار هذه البقعة، فتشعب تعليم العربية إلى ثلاث شعب.

الأولى: شعبة من يتعلم منها مايكفيه للقيام بالأمور الدنينية الضرورية في مدارس القرآن، والكتاتيب أو ما يماثلها من المدارس الاعدادية أو الثانوية الإنجليزية(٦١).

الثانية: فرقة من يتخصص فيها للتعمق في الدين كالفقهاء، والأئمة الأعلام، يتعلمون في المعاهد المنزلية القديمة أو المعاهد الحديثة.

الأخيرة: طائفة مِمّن يتعلمها كلغة حية كالمستشرقين في الجامعات، والمعاهد الغربية.

وهذا أثر من آثار العلمانية التي يطلق عليها علمنة الدولة، وعلمنة القانون، وعلمنة الثقافة؛ أى فصل كل شىء عن الدين ليبقى علما مدنياً بحتاً(٦٢).

ولله در القائل على لسان اللغة العربية:

حزني يزول إذا أصواتها تليت ... في الذكر تطربني لله ما الطرب
ولست أذكر هماً لا ولا ترحاً ... حين المطالعة بالضاد أستطب
وهل تر لغة كالضاد منزلة ... تدني النفائس في تحصيلها النشب
عاهدت ربي على إحيائها أبداً ... ولا يثبطني عن حسنها الضبب

عوامل نهضة اللغة العربية في نيجيريا:

لنهضة اللغة العربية في نيجيريا عوامل متعددة، ولعل أبرزهـــا وأهمهـــا، المعاهد العلمية، والمدارس العربيـــة النظاميـــة الحديثـــة، والمطـــابع العربيـــة، والجمعية الأدبية.

١- المعاهد العلمية: يرجع تأسيس المعاهد العلمية النيجيرية إلـــى القـــرن الخامس عشر الميلادي أو قبله[٦٣]، فهذه المعاهد ليست عبارة عن مبان ضخمة، مقسمة إلى فصول ومكاتب، لكل فصل مقرره ومنهجه كما نشاهده اليوم. وإنمـــا هو حجرة جلوس الشيخ في منزله، قد تكون كبيرة أو صغيرة حـــسب إمكانيـــة صاحبها، وقد تكون مفروشة بحصر أو فراء. وقد لا يكون هنالك فراش إلا فـــي مجلس الشيخ وحده خصوصا إذا كان قاضي قـــضاة المدينـــة، أو وزيـــرا[٦٤]، فيدرس الشيخ طلاب العلم عشرين سنة، تقل أو تكثر على حـــسب مهارتـــه أو اكتسابه للعلم، فيرجع الطالب بعده منزله ثم يأسس معهده على طراز أســـتاذه[٦٥] وكان العلماء التقليديون ولا زالوا يفتحون أبوابهم لكل من يريد أن يدرس معهم، وطريقتهم في التدريس لم تتغير، ولم تتبدل، فهي عبارة عن قرءاة الكتب العربية وترجمتها إلى لغاتهم المحلية. ولايزال الاعتناء بعلوم اللغة العربية والإســـلامية قويا جدا. وكان بعض أصحاب هذه الطريقة التقليدية يرون أن إدخـــال المـــواد الحديثة كاللغة الإنكليزية، والآداب الأجنبية، والفلسفية في المعاهد الحكوميـــة أو غير الحكومية التابعة للنظام الجديد قد أضعف من مستوى اللغة العربية والـــدين في تلك المدارس، فأصبح الأمر خلافاً بين أصحاب القديم، وأصحاب الحـــديث، وهو خلاف موجود في كل شيء، وفي كل بلد، ولعله يستمر إلى الأبد؛ إذ كـــل جديد، سيصبح قديماً، وهكذا.

٢ - المدارس العربية النظامية:

لقد عرفت نيجيريا المدارس العربية النظامية في أوائل القرن العشرين[٦٦]؛ بفضل العلماء الأجلاء الذين شغفهم الحب العذري باللغة العربية إلى تأسيسها، فبدؤوا ينشؤون المدارس العربية الإسلامية في القرى والمدن بغرض انتشار اللغة العربية على نطاق أوسع. وأول من أجاز استعمال الكتب المصورة من علماء نيجيريا هو الشيخ محمد اللبيب الإلوري، المتوفى ١٩٢٢م[٦٧].

وفي عام ١٩٣٠م، أنشئت مدارس عربية حديثة لتخريج القضاة والكتبة في المحاكم الشرعية في كل من سكتو، وكنو، على نظام المدارس الحديثة. وكان الطلبة فيها يتعلمون اللغة العربية، والشريعة الإسلامية على المذهب المالكي[٦٨] ثم فتحت مدرسة أخرى، سنة ١٩٣٤ بكنو[٦٩] وسميت بمدرسة العلوم العربية[٧٠]، وهذه المدرسة اولى من نوعها في تاريخ غرب أفريقيا[٧١] وقد تعاون أمراء شمال نيجيريا على تأسيسها بقصد تخريج القضاة الشرعيين[٧٢]، ولقد لعبت المدرسة دورا هاما في نشر الثقافة العربية الدينية في نيجيريا، وأصبحت كعبة يغشاها الطلبة من كل محافظات نيجيريا، ومن البلاد الأفريقية المجاورة[٧٣].

لقد رفعت المدارس الحديثة مستوى اللغة العربية والدين في البلاد خصوصاً بعد ما أدخلت تجديدات عديدة، وقد كانت لها المناهج، والكتب المقررة، وما إلى ذلك، من النظم المدرسية الحديثة. وكان المتخرجون فيها من المدرسين بعد التجديدات اللازمة ينالون شهادات التدريس، ويتقاضون رواتب كرواتب غيرهم من مدرسي المواد الأخرى. كانت لهذه التغييرات أهمية كبيرة في تاريخ التعليم العربي الحديث في نيجيريا. فقد رفعت لأول مرة الروح المعنوية للمدرسين[٧٤].

وبتعدد المدارس العربية، تعدد الناطقون بها، وكتبوا بها وقـرأوا وألّفـوا. الأمر الذي ألجأ الحكومة الفيدرالية، والولائية، والخصوصية المحلية، إلى إدخال اللغة العربية من بين المواد التي تدرس في المراحل التعليميـة بأسـرها. وقـد انتشرت الآن معاهد عربية إسلامية في كل قطر من أقطار غرب أفريقيا؛ بفضل الذين قصدوا بلاد العرب، وأكملوا تعليمهم هناك، أو من الذين لم يرتحلوا إلـى خارج نيجيريا، وإنما تلاقوا العلوم على أيدي العلماء التقليديين النيجيريين.

٣ - المطابع العربية:

ولعل المطابع العربية التي عرفتها نيجيريا فـي مطلـع القـرن العـشرين الميلاي، من أكبر العوامل التي بها انتشرت اللغة العربية إلى ربوع نيجيريا. فقد أراحت النساخين من الكتابة أولاً، وخرجت مؤلفات، كان يحتجزها المؤلفون في بيوتهم إلى حيز الوجود ثانياً، وسلمت ثالثا الطعن الذي كان ولايزال يطعنها بـه أعداؤها الذين ينظرون إليها بلغة لاتتلاءم ومقتضيات العصر أخِـراً. رحـم الله حافظ إبراهيم حين قال على لسان اللغة العربية:

رموني بعقم في الشباب وليتنـي عقمت فلم أجزع لقول عداتـي[٧٥]
وسعت كتاب الله لفظـا وغايـة وما ضقت عن آي به وعظـات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلـة وتنسيق أسـماء لمخترعـات
أنا البحر في أحشائه الدر كامـن فهل ساءلوا الغواص عن صـدفاتي؟

وإن للمطابع العربية، والالآت الأخرى المعاصـرة، كالحاسـب الآلـي، وغيرها من المستحدثات التي من شأنها، إحياء اللغات الحية بما في ذلك، التراث العربي، من عوامل ساعدت اللغة العربية على إنهاضها في العصر الراهن.

٤ - الجمعية الأدبية النيجيرية:

يقال إن الجمعية هيئة مكونة من أفراد تجمعهم علاقة غير علاقة القرابـة، والجوار، تربط بينهم غايـة مـشتركة فـي الـدين، والفكـرة، والـسياسة، أو

الصناعة[٧٦] فجمعيات نيجيريا، قوامها الصداقة، والديانة، ثم السياسة، والتجارة. فاليربويون أكثر اعتناء بتأليف جمعيات الصداقة من غيرهم من القبائل الباقية. وتتألف أعضاء جمعياتهم من الأقران المتقاربين في الحسب، والشرف، يتعاونون فيما بينهم على إنجاز مشروعات خيرية، تخص كل عضو من الأعضاء[٧٧].

إن من أكبر الحوافز التي تحفز أدباء نيجيريا إلى تأليف الجمعيات هو الاهتمام بشؤون اللغة العربية والدين، التي لايمكن النظر فيها تحت إطار الحزب الحاكم الذي يتألف من مسلمين وغيرمسلمين أو لا يمكن النظر فيها في البرلمان بحكم نص الدستور بعلمانية الدولة. أنشئت هذه الجمعية. عام ١٩٧٦م من قبل الرابطة النيجيرية للأساتذة العربية والإسلامية، وهي خير جمعية لصالح اللغة العربية في نيجيريا. والغرض الأسمى من تأسيسها هو تغطية الأماكن الشاغرة في التعليم العربي الإسلامي. وإليك أهداف هذه الجمعية:

أ- توحيد صفوف مدرسي الدراسات العربية الإسلامية في جميع المدارس النيجيرية.

ب- بدء، وتشجيع، ودعم، الأبحاث العلمية في الدراست العربية الإسلامية.

ج- تطوير الدراسات العربية الإسلامية، والتشجيع على تنميتها في جميع المراحل التعليمية.

د- التعاون مع الأطراف المعنية الأخرى بداخل نيجيريا وخارجها في وضع المناهج المناسبة، والكتب المقررة في التعليم العربي الإسلامي.

هـ - إنشاء مجلة تنشر بانتظام في مجالات الدراسات العربية الإسلامية[٧٨].

و- تنظيم الحلقات الدراسية، والمؤتمرات، والندوات، في شتى مجالات العربية الإسلامية، حينا بعد آخر.

ز- النظر في جميع المشكلات التي تعرقل تقدم التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا، والقيام بالمحاولات الجادة لإيجاد الحلول لها.

ح- القيام بنشاطات أخرى تلائم الأهداف المذكورة[٧٩].

إن جهود هذه الجمعية قد بدأت تثمر، من يوم نشأتها إلى يومنا هذا. وقد رأينا إنجازات ما لاتعد، ولاتحصى، قد أحرزتها الجمعية، من تغيير المفاهيم الخاطئة تجاه الثقافة العربية الإسلامية إلى الفهم الصحيح بالثقافة العربية ودورها في المجتمع الدولي والمحلي.

اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم:

إن لحركة اللغة العربية في نيجيريا وآدابها شوطاً بعيداً، وتاريخاً مجيداً، وزمناً طويلاً، فهي بحاجة إلى التجديدات الزمنية لما يعتريها من القوة والضعف، ومن الازدهار والذبول، غير أن دارس تاريخ اللغة العربية في نيجيريا، يجد نفسه بين مفترق الطرق، لايدري أين يتوجه!.

هل يسير على طول القرون، فيخرج من قرن إلى آخر، ويستقصى ما فيه من علماء، وشعراء، وكتاب؟ إذ القرون التي نهضت بالأدب العربي عديدة، وركوبها صعب، والاهتداء إليه أصعب. أم ينهج منهج القبائل، فيحصر الأدباء، والعلماء، في حدود كل قبيلة؟ والقبائل التي أنجبت العلماء والأدباء متشعبة، والإحاطة بها غير يسيرة. أم يسلك مسلك الأقاليم فيدرس أدب كل إقليم على حدة؟. والأقاليم التي اشتركت في إنجاب العلماء، والأدباء، متكاثرة، واستيعابها عسير.

فاضطررت إلى تقسيم تاريخ حركة اللغة العربية وآدابها من دخولها إلى العصر الحاضر على حسب فترات تاريخية على الوجه الآتي، تأسيا بالأستاذ الدكتور، زكريا إدريس حسين[٨٠] وإن كان الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والأستاذ الدكتور، والشيخ أحمد سعيد غلادنثي، قد سبقوه إلى هذا المضمار، فجزاهم الله عن اللغة العربية الجزاء الأوفى.

١- عصر الاستهلال، يبدأ من (١٠٠٠- ١٣٠٠م)

٢-عصر الدعاة الوافدين، ويبدأ من (١٣٠٠- ١٨٠٤م)

٣- العصر الفودي، من (١٨٠٤ – ١٩٠٣م)

٤- عصر الاستعمار البريطاني من (١٩٠٣- ١٩٦٠م)

٥- عصر الاستقلال، من (١٩٦٠ – ١٩٩٩م)

٦- عصر الازدهار، من (٢٠٠٠ –).

١- اللغة العربية في نيجيريا في عصر الاستهلال (١٠٠٠- ١٣٠٠م):

إن اللغة العربية قد بدأت تدخل في بعض ولايات هوسا، ومملكة برنو، عن طريق التجارة. وليس من السهل، أن نعرف على وجه التحديد متى بدأ ذلك الاتصال التجاري بين البلاد العربية وغرب أفريقيا؛ لعدم وجود المراجع الأصلية التي كتبت عن ذلك[٨١] ولكننا، نستطيع أن نفترض أن قيام ولايات هوسا، وبرنو، في القرن العاشر الميلادي، وما يسمى اليوم بنيجيريا.

إن مملكة برنو لَمِنْ إحدى مدن البرابرة[٨٢] القديمة، بغرب أفريقيا. ولهم أدوار طائلة في نشر الإسلام، وحضارته بتلك البلاد، وعلى أيديهم، قامت الدولة الإسلامية الأولى في القرن الخامس الهجري بالجزء الشمالي الشرقي حتى شملت بلاد كنو، وكثينا، وغيرها مما يعرف بشمال نيجيريا اليوم[٨٣] وصلة برنو القديمة بجامع فسطاط، والجامع الأزهر، معروفة ومدونة في كتب

التاريخ[٨٤]، ومما لاجدال فيه أن دخول الإسلام إلى غرب أفريقيا، كان بـــالقرن الأول مع الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا[٨٥] وأما تاريخ قوته في نيجيريا، فيصدق على القرن الخامس الهجري الذى قامت فيه أول دولة إسلامية في برنو.

فالإنتاج الأدبي في هذا العصر ضعيف وقليل؛ لأنه عصر الدعوة إلى الدين الجديد، ودور التأسيس والتوطيد للثقافة الجديدة، ولايمكن أن يرتقى فيـــه الأدب إلى درجة الإنتاج، لأن الإنتاج موقوف على قوة الإسلام وضعفه، وقوة الإســـلام موقوفة على قوة الملوك والأمراء الذين يحضنون الإسلام، ويـــشجعون العلمـــاء على التعمق في الفنون الدينية الشرعية، والفنون الثقافية الأدبية[٨٦].

أضف إلى ذلك، أن الإنتاج الأدبي في كل زمان ومكان، إنما يقـــوم علـــى النضوج العلمي في قواعد اللغة، وأن بلاد العجم، تختلف تماماً عن بلاد العـــرب في النضوج. فالإسلام هو الذي يمهد السبيل للأدب العربي في بلاد العجم، كمـــا أن النضوج يحتاج إلى زمن حتى يبلغ العجم مبلغ العرب في الإنتاج، وإنما يتعلم المسلمون اللغة العربية بالدرجة الأولى، ليفهموا بها أصول دينهم، أمـــا تعلمهـــم العربية للإنتاج الأدبي ففي الدرجة الثانية[٨٧].

قصارى القول: إن عددا من الأفارقة في نيجيريا بالذات، اعتنق الإسلام في هذا العهد، وتعلم مبادى العلم العربي الإسلامي، فلم يظهر في هذه المرحلـــة إلا علماء قلائل[٨٨]، والذي يؤكد هذا الرأي، هو عدم وجود علماء نابغين قبل القرن الرابع عشر الميلادي، وعدم وجود كتب سجل في تلك الحقيقة، فلو وصلت اللغة العربية حين ذاك إلى مستوى يسمح بالكتابة بها، لسجلوا لنا مـــا يعطينـــا اليـــوم صورة واضحة لحياتهم الثقافية[٨٩].

٢ - اللغة العربية في عصر الدعاة الوافدين (١٣٠٠ - ١٨٠٤م):

ومن القرن الرابع عشر، وجدت عوامل ساعدت على نشر التعليم العربـــي والإسلامي، منها: زيارة الوفود والأفراد لبعض ممالك هوسا التـــي بـــدأ أثرهـــا

يظهر من ذلك القرن. فقد كان العلماء في تلك القرون الغابرة، ينتقلون من بلد إلى آخر، طلبا للعلم، والتماسا للرزق والحياة، وكانوا يدرسون، ويتعلمون في خلال تلك التنقلات التي يصحبهم فيها بعض طلبتهم. فإذا سمعوا بمركز علمي، أو تجاري، قصدوه، واتصلوا بعلمائه وملوكه. فإذا طابت لهم الإقامة، أقاموا فيه ما شاء الله أن يقيموا، وكانت كنو وكثينه، مركزين رئيسيين للعلم والتجارة، فكثر فيها الزوار، وفوداً وأفراداً.

وكان من الوفود كما سجل لنا تاريخ كنو هو وفد الونغراويين، دخلوا كنو في عهد ملك علي ياج. ولدخولهم أثر واضح بالمدينة، فقد أصبح الإسلام هو الدين الرسمي بعد الزيارة[٩٠]، ولاتزال آثار تلك الزيارة باقية إلى العصر الحديث، فكلما أتى عالم التف حوله طلبة العلم، وأخذوا منه واستفادوا، وقد يرافقه بعضهم إلى حيث يتجه حتى يرضع كفايته منه ثم يعود إلى وطنه، ويتصدر للتدريس.

ومن الدوافع الرئيسة لنشر اللغة العربية في هذا العصر:

١- فريضة الحج: لقد كان المسلمون في نيجيريا، يقومون بأداء فريضة الحج، مع أنه أمر شاق جدافي ذلك الحين، وكان يستغرق عدة سنوات، فكان الحجيج، يخرجون في قافلة صوب الشرق، ويتكسبون في الطرقات، إما بالتجارة أو الصناعة أو كليهما. وربما يقومون في بعض الآحايين بالأعمال الزراعية، إما لغيرهم، وإما لأنفسهم. ويقوم البعض بالتدريس خلال السفر كما يقوم بالتعلم، إذا صادف من هو أعلم منه في الطرق. وكان أمثال اولئك إذا مر بالأزهر، انتهزوا الفرصة، واستمعوا إلى مشايخه، وإلى علمائه الكبار، واتصلوا بهم، وبغيرهم من العلماء، وكوّنوا صداقة معهم، وأفادوا واستفادوا في العلم.

٢- شهرة تمبكتو العلمية: إن من العوامل التي ساعدت على الثقافة العربية في نيجيريا في هذا العصر، منها: النهضة العلمية التي قامت ونمت، في المسجد الجامع، ومسجد سنكري بمدينة تمبكتو من القرن الرابع عشر الميلادي. فقد كانت تلك المدينة، المركز الديني، والعلمي، والأدبي، في السودان الغربي عامة، حيث كان طلبة يقبلون عليها زرافات، ويقتبسون من أنوارها، ثم يعودون إلى أوطانهم. يذكر السعدي..... أن تمبكتو في القرن التاسع الهجري أى الخامس عشر الميلادي، حافلة بالطلبة السودانيين، وأهل المجتهدين في العلم والصلاح"[٩١].

٣- استيراد الكتب العربية: ومن هذه العوامل، استيراد الكتب العربية إلى كل من مملكتى برنو، وهوسا. فقد كانت الوفود، تأتي بشيء منها. فينسخها الطلبة ثم تتداول بين أيديهم. ويبدو أن الكتب المتداولة في أيدي العلماء، والطلبة من القرن الرابع عشر الميلادي، لاتتجاوز القرآن الكريم، وتفسيره لجلال الدين السيوطي. وفي الحديث: البخاري ومسلم، وموطَّأ مالك. وفي الفقه: المدونة، والجامع الصغير، ورسالة أبي زيد القيرواني، والعزية، ومختصر لخليل بن إسحاق. وفي النحو: الأجرومية، وقطر الندى، وشذور الذهب، وألفية بن مالك. وفي الأدب: مقامات الحريري، والقصائد العشر.

٤- القانون والقضاء: إن القانون النيجيري القديم، كان مبنيا على التقاليد والعادات المحلية، ويحكم الزعماء، والشيوخ، والملوك بموجب العادات والعرف والتقاليد المحفوظة في الصدور المنقولة عن الأسلاف. فقاتل النفس، واللص، وخائن الوطن، جزاؤهم الصلب حتى الموت. والزاني، تؤخذ منه غرامة معينة، تعدل ثلث المهر، وتسلم للزوج. والمديون، يرهن ولده عند الدائن، ليستغله حتى يدفع ما عليه، عاجلاً أو آجلاً[٩٢].

أما القضاء، فكبير كل عائلة حاكمها، ورئيس كل قبيلة قاضيها. والملك، هو قاضي القضاة، يستأنف إليه في القضايا الكبرى، ويشترك في النظر فيها، كبار

رجال الحاشية. تلك هي الأساليب القديمة التي سار عليها القضاء النيجيري القديم. ولاتزال المحاكم الوطنية في بلاد يوربا، تعمل بها حتى الآن، مع بعض تعديلات يسيرة.

أما القضاء الإسلامي، فقد ظهر في بلاد هوسا مع ظهور الحكم الإسلامي بالقرن الثالث عشر الميلادي، وظهر قبل ذلك في برنو بالقرن العاشر، حيث كان القضاء مستفادا من الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس على المذهب المالكي[٩٣]. وكان القضاة، يختارون من العلماء والفقهاء المشهورين بالورع والتقوى، ثم أصبح القضاء موروثا لأبنائهم ويشترك الأمراء مع القضاة في كثير من القضايا.

ومن الشيوخ الوافدين الذين تصدروا الإفتاء في نيجيريا في هذا العصر، الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني. وقد ترك للقضاة النيجيريين آنذاك، وصية جامعة لأصول الاجتهاد والقياس[٩٤]، ولم يزل القضاء الإسلامي معمولاً به في شمال نيجيريا حتى الآن، غير أنه محدود في الأحوال الشخصية، وبعض المعاملات.

٥- المناظرة: لقد عرفت نيجيريا باب المناظرة في هذا العصر. نقصد بالمناظرة هنا، مجادلة عالمين كبيرين في موضوع ديني، أو مسألة علمية، كالذي حدث بين المغيلي والسيوطي خلال وفودهما إلى نيجيريا. ذهب الأول يحرم علم المنطق ويذمه في حلقات وعظه، بينما أقره الثاني بإباحاته ومدحه. يقول المغيلي في ذم المنطق، والتثبط عن تعلمه، قائلاً:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله[٩٥]
أيمكن أن المرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبارة ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل العلوم فهل ترى ... دليلا صحيحا، لايرد بشكله
أريني هداك الله منه قضية ... على غير هذا تنفيها عن محله

إلى أن قال:

لئن صح عنهم مـــاذكرت فكـــم هـــم وكم عالم بالشرع بـــاح بفـــضلـــــه

ورد السيوطي على البحر والقافية بذاتهما، فقال:

حمدت إله العرش شكراً لفـضلـــــه وأهدي صلاة للنبي وأهلـــــــه[٩٦]
عجبت بنظم ما ســمعت بمثلـــــه أتاني عن حبر أقر بفـضلـــــه
أقرر فيه النهي عن علم منطـــــق وما قاله مـــن قـــال مـــن ذم شـــكله
وسماه بالفرقان ياليت لـــم يقـــــل فذا، وصف قـــرآن كـــريم لفـضله
وقد قال محتجاً بغيـــر روايـــــة مقالاً عجيباً، نائياً عـــن محلـــــه
ودع عنك ما أبـــدى كفـــور وبعـــد ذا خذ الحق حتى من كفور بختلـــــه
وقد جاءت الآثار في ذم مـــن حـــوى علوم يهود أو نصارى لأجلـــــه

إلى أن قال:

سلام على هذا الإمام، فكم لـــــه لدي ثناء، واعتراف بفضلـــــــه

وتعتبر مناظرتهما نقطة انطلاق بين أدباء اللغة العربية فـــي نيجيريـــا، إذ روجها علماء اللغة العربية رواجاً كبيراً بعدهما، بل هذا النموذج قصة تاريخيـــة تفسر لنا مرآة صادقة للفكرة التي يمثلها كل واحد من الشيخين. فهذه المنـــاظرة تعد مفخرة من المفاخر الأدبية الإسلامية.

ذلك النشاط العربي، نما في القرن الرابع عشر الميلادي، ووصـــل ذروتـــه في القرن الخامس عشر، ثم بدا، النشاط في التدهور لأســـباب غامـــضة غيـــر مفهومة، واستمر الحال كذلك، إلى القرن الثامن عشر الميلادي[٩٧].

إن اللغة العربية في تلك الفترة مرت بمراحل يمكن تلخيصها على الوجه الآتي:

١- بداية تعليم قراءة القرآن، وحفظ شيء منه. وهذا بدأ بدخول الإسلام، وكان الدعاة، والتجار، هم الذين بدأوا في تعليم القرآن وتحفيظه.

٢- تعليم القراءة والكتابة باللغات المحلية باستخدام الحروف العربية، فلأول مرة بدأ الناس، يقرؤون، ويكتبون بلغاتهم المحلية.

٣- بداية تعليم قراءة الكتب الدينية المكتوب بالعربية. وكان الناس، يدرسونها، وتترجم لهم باللغات المحلية.

٤- محاكاة تلك الكتب العربية عن طريق كتابة الشرح والحواشي(٩٨).

٥- بداية التأليف إما نثرا أونظما بأسلوب أدبي بسيط.

ومن مشاهير العلماء في هذا العصر، الشيخ سليمان الباغرمي، والشيخ محمد الوالي الباغرمي، والشيخ عبدالله الثقة الكثناوي، والشيخ محمد مودي الكشناوي، والشيخ جبريل بن عمر(٩٩).

٣- اللغة العربية في نيجيريا في العصر الفودي (١٨٠٤- ١٩٠٣م)

كانت الدولة التي أسسها الشيخ عثمان بن فوديو عام ١٨٠٤م مختلفة تمام الاختلاف عن غيرها من الدول السابقة في بلاد هوسا وبرنو. فقد أسست من أول الأمر على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية، ونظم دقيقة، لا بد من معرفتها قبل تطبيقها، ولا بد لهذه الحكومة أن تجد عددا من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة تلك الدواوين. وبما أن اللغة العربية هي لغة الثقافة، فلا بد أن تهتم بها الحكومة، وتثقف أبناءها بها، وقد قامت بذلك خير قيام(١٠٠).

وإليه يشير الدكتور عيسى ألبي أبوبكر في إحدى بائياته، إذ قال:

إن هذى البلاد في سالف الدهـــــر ذراه تنـــاطح الـــسحب حقبـــا[١٠١]
"ابن فودي" أداراها بهـدي اللـــــــه تعالى فـصار فـــي الأرض قطبـا
لغة الضاد عنـــده كانـــــــت الاو لى، سواها يعـد عيبـا وثلبـــــــا

لم تفتح الحكومة مدارس رسمية نظامية على النظام المدرسي المعروف حاليا، ولكنها شجعت التعليم تشجيعاً بالغاً. فالقادة الجدد كلهم علماء ومدرســون، وكـــان الشيخ عثمان نفسه قائداً، وداعياً، ومرشداً. وكذلك وزراؤه وحكامه، كانوا يجعلون بيوتهم كلها مدارس، وينصبون أنفسهم للتدريس فيها، فكثرت المدارس، وتعـددت المجالس العلمية، لافي سكتو وحدها التي أصبحت في تلك الآونة عاصمة الدولـــة، ومركزا جديدا للعلم، والثقافة، بل في المراكز الأخرى.

ومن الصعب جدا، معرفة عدد تلك المدارس بالضبط، لأنها لم تكن تابعة لأي نظام رسمي، ولا لأي مؤسسة معروفة، ولكن الشيخ عبد الله بن فوديو ذكر وجـــود مدارس وعلماء، يلتف حولهم طلبة العلم في قصيدته الجيمية المشهورة، إذ قال:

ومداس أضنى[١٠٢] بحب شهودهـــــا فيها نجـــاح حـــوائج المتحـــوج[١٠٣]
وجحاجح علماء يحلب رفدهـــــــــم كـــل كبحـــر فـــي العطـــا متمـــوج

وأصبحت تلك المدارس ميادين للتدريب، يتدرب فيها الـــشبان والكبـــار على السواء. وينقسم العلماء الذين يتصدرون للتدريس في هذه المدارس إلـــى قسمين: مُتفننين ومتخصصين. والتفنن: هو أن يجمع العالم بين علم أصـــول الدين، والشريعة، واللغة. والتخصص: هو مقدرته على تدريس واحـــد مـــن الأقسام الثلاثة[١٠٤] وبسبب صعوبة الجمع بين هذه العلوم، فإن عـــددا قلـــيلا منهم أحاطوا بها.

الإنتاج الأدبي في العصر الفودي:

يعتبر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بمثابة العصر الذهبي للإنتاج الأدبي في نيجيريا[١٠٥] وأبرز الشخصيات التي يشارُ إليها بالبنان في هذا الوادي، الشيخ عثمان بن فودي - المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب أفريقيا وهو نفسه كتب أكثر من سبعين كتاباً[١٠٦] في مختلف العلوم العربية الإسلامية، والشيخ عبدالله بن فوديو، شقيق عثمان – الملقب بنادرة الزمان وعلامة السودان فقد خلف وراءه ما ينيف على مائتى كتاب دارة في الفنون العربية الإسلامية، والتصوف[١٠٧] يليهما في الإنتاج السلطان محمد بلو، نجل الشيخ عثمان، الذي يعود إليه الفضل في البطولة، والكفاح، والإنتاج. وقد سجل زهاء أربعة عشر ومائة كتاب[١٠٨] باللغات المختلفة، وإن كانت اللغة العربية عديدة من مؤلفاته.

والسبب في الإنتاج يرجع إلى أن اللغة العربية، هي اللغة الرسمية في البلاد آنذاك، وهي اللغة الثقافية الوحيدة التي كان العلماء جميعا، يستطيعون التفاهم بها على الرغم من اختلاف لغاتهم ولهجاتهم[١٠٩] وقد كانت اللغة الوحيدة التي دون بها جميع تقارير الامبراطورية في القرن التاسع عشر، كما أن جميع الأحكام الشرعية حتى بعد سطو الاستعمار البريطاني، كانت تسجل بها في كثير من الإمارات الإسلامية.

ولم تقتصر جهودهم على شرح المشكلات والغوامض حسب تصريح الشيخ عثمان المتواضع فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الثقافة العربية ثروة قيمة في شتى الميادين. فإذا نظرنا إلى ما ساهموا به في ميدان الشريعة، وعلوم الدين، نجد أنهم لم يقتصروا على توضيح المسائل المشكلة فحسب، ولكنهم، ابتكروا أيضا

طريقة تسهل على طلاب العلم حفظ هذه المسائل، وذلك بتحويل قالبها المنثور إلى المنظوم[١١٠].

وتنحصر مؤلفات علماء نيجيريا في هذا العهد، على الاتجاهات الآتية: أصول الدين، والتصوف، والفقه، والتفسير، والنحو، والصرف، والتاريخ، والسياسة.

الشعر العربي في العصر الفودي:

إن اللغة العربية في نيجيريا في هذا العصر، هي لغة الدين، ولغة الثقافة الدينية للمسلمين، يتعلمها المسلمون في هذا الوقت للإسلام.فالشاعر النيجيري، إما أن يكون شاعرا مطبوعا، فيقرض الشعر على سجيته، ويراعي القيم الأخلاقية الإسلامية في بنات أفكاره، لأن الأدب بالنسبة له وسيلة لا غاية. وإما أن يكون شاعرا متكلفا، أغرته دراساته العلمية بتقليد النماذج الشعرية التي يلتقي بها خلال قراءته؛ لكي يكون ذلك دليلاً على براعته في الشعر، وتمكنه فيه، والتحلي بالروح الإسلامية السمحاء. واعتنى علماء نيجيريا بالكتب الدينية أكثر من الكتب اللغوية.

لم يكن العلماء الذين نظموا في هذا الميدان يمدحون للتكسب، لأن ذلك لم يكن يليق بمنزلتهم العلمية، ولا بمكانتهم المرموقة. ولعله السبب في قلة فن المدح، خصوصا في العقود الأولى من ذلك القرن[١١١]. وهؤلاء العلماء هم الذين قاموا بدور الشعراء؛ لأنهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغة العربية، ويتذوقوا سحرها وبلاغتها، ويتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم، وينظموا الشعر كما نظمه شعراء العربية وأدباؤها.

نظرة عامة على أبواب الشعر العربي في هذا العصر:

ولما كان الباعث لأهل نيجيريا إلى تعلم العربية هو الدين الإسلامي، كان لابد من أن ينبع أدبهم من منابع الدين، وأن يدور حول أغراض يبررها الدين، لذلك، اتجه الشعر في هذا العهد إلى هذه الأغراض[١١٢]:

١- **الثناء على الله**: هي شذرات من الأبيات يعرض فيها الشاعر صفات الله، ويذكر بوجه خاص واجباته ومستحيلاته. ويأتي هذا النوع من الغرض في افتتاحيات القصائد واختتاماتها. ويعتبر الشيخ عبد القادر بن عثمان[١١٣] فذا في هذا الميدان.

٢- **الوعظ والإرشاد**: وهو توجيه الناس إلى مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وصرفهم عن غرور الدنيا وزخرفتها، وتذكيرهم بالموت وما بعده. وأكثروا من بحر الرجز مطية لهذا الغرض[١١٤].

٣- **المدح**: المدح الذي نشأ في هذا العصر، إما المديح النبوي الذي يشيد بالإسلام، والرسول، أو مايشبهه كمدح العلماء، والشيوخ، والتبرك بهم. ويصف المادح ممدوحه في الغالب بصفات كان الناس يستحسنونها إذ ذاك: مثل الكرم، والشجاعة، كما يصفه بالعلم وخدمته، وبالتدريس، والتأليف، والتقوى، والتمسك بالدين وغير ذلك من الفضائل[١١٥].

٤- **الرثاء**: كان الشعراء في هذا العصر، يسيرون على الدرب التقليدي في رثائهم، كما يسيرون في مدحهم، فيذكرون الموت وغدره، ويذمون الدنيا وغرورها، فهي دار فناء، لا يصفو فيها العيش، ولا يرتاح البال، ويشيرون كذلك إلى محاسن الميت، يصفونه بالعلم، والتقوى، وبالكرم، والشجاعة،

ومساعدة الضعفاء. والظاهر أن الرثاء في هذه الفترة أكثر من المدح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم[١١٦].

٥- **الشعر التعليمي**: إن من موضوعات الشعر التي طرقها العلماء والفقهاء في نيجيريا في هذا الطور، الشعر التعليمي. فقد نظموا فيه بوفرة، واستخدموه في نشر الثقافة الإسلامية، وبث التعاليم الدينية، ولانكاد نجد عالماً متبحراً أو فقيها متفننا إلا وقد أخذ نصيبه في هذا المجال.

٦- **شعر الجهاد**: كان الجو السياسي والديني والاجتماعي، مملوءاً بالاضطرابات الشديدة في أوائل فترة مملكة سكتو. إذ كانت الحروب تدور رحاها في أنحاء المملكة، والممالك المجاورة لها. فكانت البيئة كلها شديدة الاضطراب، قليلة الاستقرار، فهيأت ميدانا فسيحا للشعراء.

والأهداف الرئيسة لهذا النوع من الشعر، تسجيل الانتصارات التي كان المسلمون يفوزون بها ضد أعدائهم، وتحريض جماعتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم، وعقيدتهم الإسلامية[١١٧].

وليس هنالك من بين علماء نيجيريا، من ترك تراثا ضخما في الأدب في القرن التاسع عشر الميلادي مثل عبد الله بن فوديو[١١٨]. والبلاد تفخر بمؤلفات هذا العبقري، لا لكثرتها، وقيمتها فحسب، ولكن لشمولها معظم العلوم من: تفسير، وفقه، وتصوف، وتاريخ، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، ومنطق، وعلم الكلام، وعروض، وأدب[١١٩]. ولم يكن في غرب أفريقيا أعلم منه في ذلك الزمن[١٢٠]. ومن عيون شعره في الوعظ والإرشاد:

طربت فأشجاني الطيور الكوابح ... وفرحني منها الغيوث الروائح
وخوفني أيضا ذئاب بوارح ... وأمنني منها الظباء السوائح
لقول النبي لاتزال جماعة ... على الحق منا أو يجيء المقارح
ألا أبلغن عني لحيىء رسالة ... تعيها رجال أو نساء صوالح

لعالمهم أو طالب العلم رائـــــــــم لإظهار ديـــن الله فيـــه يناصـــــــح
أقول له قم وادع للدين دعـــــــــوة تجبها عوام أو خواص جحاجـــــــح
ولاتخش في إظهار دين محمـــــــــد بقولـــة قـــال تأتـــسيه كناتـــــــح
وليس لما تبنـــي يـــد الله هـــــــادم وليس لأمر إله إن جاء ضـــــــارح

ومن الطرافة أن من الذين أجادوا في هذا الميدان من النساء، أسماء بنـــت عثمان بن فوديو، التي برعت في الشعر العربي، وبلغت منزلة لم تبلغها مثيلاتها في الشعر العربي النيجيري إلى اليوم، وهي بمنزلة خنساء نيجيريا[١٢١].

وأما من ناحية النثر، فقد أنتج علماء نيجيريا كتباً ورسائل كثيـــرة، وكانـــت اللغة العربية في فترة نشاط واضطراب. وقد عكف العلماء على تـــأليف الكتـــب الدينية، والاجتماعية، وشرعوا يسجلون انتصاراتهم الحربية، ويذكرون أســـباب قيامهم بالجهاد، ويردون على منكريهم عن طريق التأليف، نثراً حيناً، وبالـــشعر أحيانا أخرى. وكانت نتيجة ذلك، وجود النثر على شقيه:

النثر التعليمي: وهو النثر الذي يتناول فيه الكاتب الفنون العلمية من تاريخ، وسياسة، وما يتعلق بالعلوم الدينية، والمسائل الاجتماعية. يمتـــاز هـــذا النـــوع بسهولة ألفاظه، وبساطة معناه، وخلوه من جمال أو جودة فنية. وربمـــا لايخلـــو أسلوبه، في بعض الأحايين من ركاكة [١٢٢].

النثر الديواني: وهو ما كان عبارة عما كان يكتبه الموظف من المنشورات، والتقريرات الحكومية، والمذكرات، والتوقيعات الرسمية، والشكاوى في المحـــاكم الشرعية.

لم يصل هذا النوع من النثر على العموم إلى مستوى عال، لأن الفترة التي كانت فيها اللغة العربية لغة الديوان، لم تكن أكثر من قرن واحد، فلـــو امتـــدت أطول من ذلك، لكان من الممكن أن يتطور النثر الديواني إلى درجة راقية[١٢٣].

ومن أدباء العصر، الشيخ عثمان بن فوديو، والشيخ عبد الله بـــن فوديـــو، والشيخ محمد بلو، والشيخ محمد الأمين الكـــانمي، والـــشيخ مـــصطفى غـــوني

البرنوي، والوزير غطاطو، والشيخ أبوبكر بوبى الفلاني الإلوري، والسيدة بنت الشيخ وآخرون[١٢٤].

٣- اللغة العربية في نيجيريا في عصر الاستعمار (١٩٠٣- ١٩٦٠):

بدأ الاستعمار البريطاني لجزء من أراضي نيجيريا سنة ١٨٦١م، عندما احتل الانجليز مدينة لاغوس، عاصمة نيجيريا القديمة، وأرغموا ملكها على توقيع معاهدات بينه وبينهم ثم أصبحوا يتغلغلون في هذه البلاد إلى أن سيطروا عليها كلها فتم الاستيلاء على المناطق الجنوبية عا م ١٩٠٠م، وعلى المناطق الشمالية، عام ١٩٠٣م[١٢٥].

وبما أن مركز اللغة العربية، والوضع الاجتماعي لها قد تدهور بدخول المستعمرين، وأصبحت اللغة العربية في المركز الثاني، بعد أن حلت محلها اللغة الانجليزية. وأصبحت اللغة العربية لغة دين، وأصبح من يشتغلون بها رجال دين، منعزلين كل الانعزال عن الحركة السياسية. وقد كان اولئك العلماء في القرن التاسع عشر، وقبل دخول المستعمرين، رجال دين، وسياسة، كما كانت اللغة العربية لغة دين، ودولة.

وقد نجح الاستعمار في هذه الناحية، وقد أجبروها على الانزواء من ميادين النشاط الثقافي. ووضعوها في ركن ديني، حتى وَهَمَ الناس أنها قد انتهت من تمثيل دورها، بوصفها لغة ثقافية في نيجيريا[١٢٦] ، بل زعموا أن العربية صارت لغة الماضي، والإنكليزية، لغة الحاضر؛ لأنها لغة الحضارة، والاختراع، والاكتشاف[١٢٧].

ووجدت اللغة الإنكليزية أنصاراً ثلاثة:

أولهم: التبشير الذي يركب الصعب والذلول في نشر الانجيل بلغة الإنجليز، وإغداق الرزق على من يحب الانكليزية ومن لا يحبها.

ثانيهم: الاستعمار الذي يرفع قدر من يعرف الإنجليزية، ويرسله إلى انجلترا ليعود إلى بلاده، حاكماً، أو موظفاً، عالياً، أو مديراً.

آخرهم: أنصار العربية الذين انضموااإلى موكب الإنكليزية، يسبحون بحمدها، ويقدسون لمجدها، وينظرون بعين الاحتقار إلى من لا يعرفها، ويحسبونه نصف إنسان، ونصف حيوان(١٢٨).

وعندئذ، أصبح من يشتغلون بالعربية ينتجون نتاجا أدبيا بها، وهم قسمان.

القسم الأول: العلماء التقليدون: وهم العلماء الذين انعزلوا عن الحياة السياسية، والثقافية الحديثة، وعكفوا على دراسة وتدريس الدين، واللغة العربية في ظلال الدين، لافرق بينهم وبين سلفهم في هذا المجال. وكانوا يدرسون الكتب المتداولة بين سلفهم، ولم ينشطوا في التألف كما نشط أولئك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم دون أولئك المجاهدين المجتهدين. وكانوا على يقين بأن باب الاجتهاد مغلق؛ فلذلك، قل الإنتاج العلمي في السنوات الأولى بعد دخول المستعمرين(١٢٩).

القسم الثاني: المثقفون بالثقافتين العربية والغربية: هؤلاء منخرطون في السلك الحكومي، ويشتغل بعضهم بالسياسة، وبهم بدأت لمحات التجديد تظهر على أيديهم من ثلاثينيات القرن العشرين.

الشعر العربي في هذا العصر:

لقد ترك علماؤنا من الشعر ما لايستهان به، الذي إن عُرض على النقد الأدبي، أو اطلع عليه عربي قح، أو ناقد نزيه، لما وسعه إلا أن يطأطِئ رأسه، إعجابا بالقريحة التي جادت به، رغم بعد الدار، وعدم توفرالأسباب(١٣٠)

فالبيئةالجديدة، والحياة السياسيةالحديثة، تستلزمان التجديد في الشعر في موضوعه، وأسلوبه، وكانت أهم دواعي التجديد في الشعر ثلاث:

١ - وجود كتب عربية أدبية حديثة في المكتبات العامة والخاصة.

٢- رجوع وفود من البعثات العلمية للدراسات الجامعية في الدراسات العربية الإسلامية.

٣- المواصلات بين نيجيريا، وبين البلاد العربية.

وبالتالي، تظهر لمحات التجديد في الموضوعات، والأفكار، والثقافات الأجنبية.

نظرة خاطفة عن الموضوعات الشعرية المتداولة في هذا الطور:

١- **المدح**: إذا أراد الشاعر المدح مثلا، راح يمدح دون اللجوء إلى الأسلوب التقليدي، فيمدح ممدوحه بصفات فيها نوع من الدقة، والتجديد؛ لأ ن البيئة لا تستحسن تلك الصفات غالبا؛ فلذلك نجد، من يمدح أميراً يصفه بما يستحسنه المجتمع كالقيام بتعمير البلاد وإحيائها، وإيجاد الأمن، وقمع الظلم، إلى غير ذلك من متطلبات الشعب في أوائل الفترة الاستعمارية[١٣١] ولكن المدح النبوي لم ينله قصور وإهمال؛ إنما ازداد وازدهر.

٢- **الرثاء**: كان من أهم خصائصه أن الراثي يذكر أوصاف الميت بشيء من الدقة والتحري، ويكثر الحزن، وإراقة الدموع، والإطالة، ثم يعظم الخطب لفقد الميت، ولم تكن الحالة في الغالب في الماضي[١٣٢].

٣- **الوصف**: إن الشعر العربي النيجيري قد خطا خطوة لابأس بها في هذا الاتجاه، فقد بدأ بعض الشعراء يشقون طريقهم نحو التجديد في الوصف على مدى تجاربهم العميقة بالمرئيات الحديثة، فرسموا لنا صورا جديدة لبعض المناظر، والحسيات، والمعنويات. فهي صور ليس فيها محاكاة عمياء، وإنما فيها نوع من الابتكار في المعاني.

٤- **الشكوى والحنين**: كان الجو كئيبا في العقود الأولى من دخول المستعمرين، خصوصا بعد نجاحهم في تمزيق المسلمين، وإضعاف شوكتهم،

وتهديم قيادتهم المركزية التي كانت تقودها سكتو. وكان المسلمون في الفترة الأولى، حيارى سكارى. انحطت الروح المعنوية على العموم، حيث كانت الإدارة الإنجليزية الجديدة، قد عينت أمراء جدداً في بعض الولايات. لقد عين الانجليز بالذات، سلطاناً جديداً على ولاية سكتو[١٣٣] فهذه الحالة هي التي أو أوجدت كثيراً من الشكاوى، والتوسلات، والأدعية، على طريقة الشعر العربي.

٥- **الغزل**: لم يكن الغزل في القرن التاسع عشر فنا مطروقاً لدى العلماء إلا في نطاق محدود. والقليل الذي نُظِمَ لا قَصِداً للتغزل، وإنما يظهر غالبا في مطالع القصائد، ولكن الحالة، تغيرت بعض الشيء، في هذه الحقبة. ومع ذلك، تظهر الصنعة والتكلف في كثير من القصائد التي قيلت في هذا الفن.

٦- **شعر المناسبات القومية**: وقد تأتي مناسبة من المناسبات، إما شخصية، أو وطنية، فتثير مشاعر العالم أو الأديب، فينطلق عنان شاعريته في الموضوع بصفة مفصلة.

٧- **الشعر التعليمي**: وقد ظل الشعر التعليمي النيجيري كما كان عليه في الماضي دون تغيير كبير، واستمر العلماء والفقهاء يتسابقون في الميدان، وقلما خرج عن دائرة الفقه، أو الحديث أو التوحيد، أو النحو، أو الصرف، أو التصوف، أو الوعظ والإرشاد.

٨- **الاستغاثة والتوسل**: وقد فشا هذا الغرض في دواوين الشعراء، ومن العلماء – على سبيل المثال - من ينظم شعرا في الدعوات والتوسلات في ديوانه. فإذا كان الشاعر من مشائخ الطرق الصوفية، تداول هذا النظم بين مريديه، وأنشدوه في حلقات ذكرهم، وإذا لم يكن منهم، تداول بين طلبته، وقد

ينظم بعضهم ديوانا كاملا في هذا الفن، ومن اولئك الأدباء، الشيخ الوزير الجنيد السكتي[١٣٤].

وهنالك أغراض أخرى للشعر لم تنل شهرة الأغراض المذكورة، كشعر الدعابة، والهجاء، وغيرهما. ومن أمراء الشعر العربي في هذا العصر، الوزير الجنيد. استمع إليه وهو يصف الطائرة التي استقلها من موطنه إلى البلاد العربية عام ١٩٤٥م، يقول:

خرجنا بعون الله في غلس إلى المطار، وكنا كالطيور البواكر[١٣٥]
فطارت بنا من يرو، ولاجة الهوى تدافع أمواج الهوا في الهواجر
تخوض عباب الجو عند ارتفاعها وتملؤه من صوتها بالزواجر
مجوفة فيها كراسي صفقت ملينة بالخيش برا لزائر
ونفعل فيها كل شيء نريده كأكل سوى تدخيننا بالسجائر
إلى أن أنخناها، وفازت يد النوى بخرطوم، فانجابت هموم المسافر[١٣٦]
وعند غروب الشمس تم نزولنا فأقبل ليل مسدل بالدياجر
فلاحت لآلي الكهرباء كأنها نجوم بدت، أو كالبدور السوافر
فلما انتهينا واطمانت نفوسنا نزلنا بلوكندا بهي المناظر
على شاطىء النيل المبارك قد رسا نشم الصبا منه بعرف العنابر
نمتع فيه كل يوم عيوننا بما تشتهيه مثلج للضمائر
به ألف مصباح تضيء، كأنها وجوه حسان في معالي المنابر

ودليلاً على نضوجه العلمي، وطول باعه في الشعر العربي، تحدث عنه الشيخ آدم عبد الله قائلاً "... وما أشبه هذا الشعر[١٣٧] بأشعار شوقي، وحافظ إبراهيم من أمراء الشعر الحديث، والوزير جنيد هذا، لم يتعلم خارج سكتو، بل تخرج على آبائه وأسلافه على الأسلوب التقليدي القديم، وله مؤلفات عديدة"[١٣٨].

النثر العربي في هذا العصر:

إن الإنتاج الأدبي عامة، في هذه الفترة، وخاصة في العقدين الأولين منهـا، لا يختلف عنه في الفترة السابقة، ولم تدخل بعض التجديدات في الإنتاج إلا مـن الثلاثينيات. ولقد شاهدت هذه الفترة كثرة العلمـاء، والأدبـاء، وانتـشار اللغـة العربية في المدارس الحديثة، والزوايا التقليدية، وكثر من يستطيع التحدث باللغة العربية الفصحى من متخرجي مدرسة العلوم العربية، ومدارس أخرى.

ويتوقع أن يكثر الإنتاج الأدبي والعلمي؛ لكثرة من يستطيع الحوض في هذا الميدان، ولكن العكس هو الأمر، فقد قل الإنتاج نسبيا عما كان عليه في القـرن الماضي[١٣٩]. ومهما يكن من أمر، فقد بذل عدد لايستهان به من العلماء جهـوداً لا بأس بها، وألفوا بعض مؤلفات، وإن كانت في الغالـب أصـغر حجمـاً مـن مؤلفات القرن التاسع عشر الميلادي[١٤٠].

النثر الديواني:

قد كانت اللغة العربية هي لغة الديوان قبل مجيء الاستعمار البغيض، ولما أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية، لجأت اللغة العربية أو أجبرت على اللجوء إلى زاوية منعزلة، وكانت اللغة العربية قد انتهى دورها كلغـة رسـمية للبلاد. ولعل الرسالة التي كتبها الوزير محمد البخاري إلى العلماء، وقادة البلاد، في كل الولايات، هي آخر منشور رسمي باللغة العربية قبـل أن يتغيـر نظـام الدولة في يد الإنجليز[١٤١].

لقد وضح الوزير في الرسالة، السبب الذي جعله يتفاوض مع الإنجليز، بعد ما انهزم جيش المسلمين[١٤٢]، يقول الوزير في أول الرسالة: "الحمد لله الملـك الحكيم، والقادر المنفرد بالإيجاد والإعدام، الذي تعالى عن أن تـضاف أحكامـه إلى العلل، جل حكم الأزل أن يضاف إلى العمل، والصلاة والسلام علـى سـيد

المرسلين، محمد خير الأولين والآخرين، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه الطيبات، أجمعين.

أما بعد، فهذه رسالة مني إلى كل من وقف عليها من أهل العلم والتدبر، كتبتها إليهم ليعلموا أني ما قبلت هذا الأمر الذي فعلته مع النصارى، اتباعاً لهوى النفس، لكن فعلته بإشارة علمائنا إليه، وذلك لما نزلنا في مرنون، اجتمع الناس عندي للمشورة، وشاور بعضهم بعضاً، ولم يروا سبيلاً إلى الهجرة عن هذه الأرض؛ لما في الطرق من قلة المياه أو عدمها أصلا في بعض الطرق، وشدة الحر، وكون النصارى نازلين في جميع الطرق، فلما سمعت أن لاسبيل إلى الهجرة، أمرت كل واحد منهم أن يفارقني، ويأخذ طريقه، وأبوا علي ذلك، فلما رأى علماؤنا ذلك، أشاروا إلى ذلك الأمر الذي فعلته مع النصارى، وقرؤوا علي كتاب شيخنا وإمامنا عثمان بن فوديو"[١٤٣].

هذه الرسالة تعطينا فكرة عن نوع النثر الديواني في هذا العصر. وسماته، فهي خالية من الزخارف اللفظية أو المعنوية، سليمة من الأخطاء النحوية إلا أنه يتفاوت في هذه السلامة من كاتب إلى آخر كل حسب مستواه العلمي، وتمكنه في اللغة.

النثر الفني:

نشأ النثر الفي في هذه الفترة، وكان في أوله مثقلا بالمحاسن اللفظية، ثم تطور تطوراً حسناً، ووصل إلى مستوى عال، وتخلص من القيود التقليدية التي كانت تثقله، والتي كان يتكلفها الكاتب من قبل. والسب في هذا التطور، يرجع إلى ما قامت به مدرسة العلوم العربية بكنو من تدريس اللغة العربية بطريقة حديثة، وما بذله مدرسوها العرب والنيجيريون من جهد لنشر هذه اللغة، وتدريب الطلاب على المحادثة والكتابة بها.

وقد ساعد في رفع المستوى، وجود مكتبات مدرسية وبلدية، تحتوي على كتب أدبية، قديمة وحديثة، ورجوع وفود بعثات تعليمية إلى البلاد العربية أو من طلابهم الذين اقتفوا آثارهم، وسلكوا طريقهم.

نأخذ مثالاً واحداً لهذا النوع من النثر، ألقاها أحد الطلبة[١٤٤] وهو في الفصل الثالث، يودع بها إخوانه المتخرجين عام ١٩٤٣م، يقول فيها:

"الحمد لله الذي جمعنا من مختلف الأماكن بقدرته، وقدّر فراقنا في وقت معلوم لحكمته، والصلاة والسلام على من استنارت الدنيا بنور رسالته، وعلى آله وأصحابه هداة أمته.

وبعد، أردت أن أودع إخواني، ولكن عجز عن الكلام لساني، لهم شديد عناني، ولم لا أحزن في وقت يبعد بعده ملاقاة خلاني، ولكن آمال الشوق إلى حب الوداع عناني؛ ولذلك أرغمت جناني بأن أتكلم بما عراني، وإن كان قليلاً كفاني، لاشتغالي بمقاسام أشجاني"[١٤٥] ثم شرع ينصح إخوانه المتخرجين بالجد، والمثابرة في طلب العلم.

ترسم لنا صورة النثر الموجود في هذه الفترة. ويبدو أن الكاتب تكلف فيه بعض الشيء، فجاء جله مسجوعا على حسب الطريقة التقليدية المعروفة. وذلك هو الأسلوب الذي كان الناس يستحسنونه، ويحاولون دائما محاكاته، ولكن ريح النهضة التي هبت في البلاد العربية، والتي حررت النثر من قيوده التقليدية، وصلت – فيما بعد – إلى نيجيريا، وأدت بالتالي إلى تطوير النثر وتتغييره[١٤٦].

ومن علماء هذا العصر وأدبائه، الشيخ محمد الناصر الكبري، والشيخ أبوبكر بن أحمد المسكين البرنوي، والدكتور علي أبوبكر، والشيخ أبو بكر محمود غومي، والشيخ محمد الوزير البرنوي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ محمد كمال الدين الأدبي[١٤٧]، والشيخ يوسف عبد الله اللكوجي.

٤ - اللغة العربية في عصر الاستقلال (١٩٦٠ – ١٩٩٩م)

إن الحركات السياسية في نيجيريا، قد قامت بدور هام في إدخال إصلاحات كثيرة، في ميدان التعليم عامة، وفي ميدان التعليم العربي والدين خاصة. وقد بدأت نتائج ذلك عندما تم الاستقلال[١٤٨]؛ فقد ظهرت مدارس كثيرة، وأقبل الناس يستزيدون منها، وظهر اعتناء الحكومة بتدريب مدرسي اللغة العربية والدين، ووجدت طائفة من مدرسي هاتين المادتين قد أكملوا دراساتهم العليا، وتخصصوا في هذين الفنين، وانخرطوا في سلك التدريس، وبدأ البعض منهم يشترك في سياسة التعليم في الوزارة. وبدأ مدرسو العربية يتمتعون بقسط من المساواة بينهم، وبين إخوانهم الذين يدرسون المواد الأخرى في الرواتب، وفرص الترقية، وغير ذلك، وأقبلت الحكومة على إرسال البعثات التعليمية إلى البلاد العربية وغيرها للتخصص في العلوم العربية. كانت تلك الملامح والحقائق كلها ظاهرة عندما طلع فجر نيجيريا المستقلة[١٤٩].

وبعد استقلال البلاد، تسابقت البلدان العربية إلى فتح السفارات، والقنصليات في لاغوس – عاصمة نيجيريا السابقة -. ويبدو أن دولة نيجيريا هي الأخرى قامت بفتح سفاراتها في تلك البلدان العربية الإسلامية، وأسفر ذلك عن توسع دور اللغة العربية؛ لأن الدولة رأت ضرورة توظيف من يجيدون اللغة العربية للعمل في تلك السفارات المفتوحة في البلدان العربية، وكانت إدارة جنرال يعقوب غاون، الرئيس النيجيري الأسبق (١٩٦٦ – ١٩٧٥) لم تنحصر على توظيف مجيدي اللغة العربية للعمل في السفارات النيجيرية في الوطن العربي، وإنما قررت إرسال بعثات إلى جمهورية مصر العربية للتدرب على الترجمة، وازدادت عناية المسؤولين في الدولة بشأن اللغة العربية[١٥٠].

وكانت الأحزاب السياسية إذ ذاك، قائمة على ساقها، وكان حزب مؤتمر القومي الشمالي يعرف حق المعرفة، أن مسألة التعليم قضية حساسة، وأن نفس

السلاح الذي استخدمه هو ضد المستعمرين، سوف يستخدم ضده، إن لـم يقـدم مشروعا جديدا لتوسيع التعليم[١٥١].

ومن أكبر العوامل التي ساعد على نشر الثقافة العربية في نيجيريا في هذا العصر: تأسيس المدارس العربية الإسلامية بكثرة. فهذه المدارس، تم تأسيسها على أيدي أفراد وجماعات من المسلمين الغيورين على دينهم، لنشر التعليم العربي الإسلامي، وحماية الإسلام، والذود عن مصالحه، ولتوعية أبناء المسلمين، توعية ثقافية إسلامية، تقيهم من آفة الشرك التي عمت البلاد، ومن فتنة الإلحاد[١٥٢]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس يتم تمويلها عن طريق جهود ذاتية، وتبرعات تجمع من الأفراد المحسنين، ومن الأثرياء الصالحين، ويقوم بالتدريس فيها المدرسون المحليون من خريجي هذه المدارس، ومن حملة الشهادات الجامعية من الأقطار العربية، والجامعات النيجيرية، ويشاركهم في التدريس المبعوثون الأزهريون[١٥٣].

وفي مقدمة هذه المدارس مركز التعليم العربي لفضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري. وكان التعليم العربي الذي هو روح الإسلام حين ذاك، في آخر رمق من حياته لطغيان التعليم الإنجليزي[١٥٤]، فقام المركز في ظروف قاسية، وعانى عقبات مضنية، خلقها التبشير المسيحي، والاستعمار الغربي، ولكن، المركز - بعون الله تعالى – كان يجابه هذه العقبات بالإيمان القوي، ويزاول رسالته أمام هذه التيارات بالإصرار المتين، والروح العالية حتى حقق الله له النصر الباهر، وأصبح واحة يرتادها الظمآن في صحراء الجهل القاحلة، ليس في نيجيريا وحدها، ولكن في داهومي، وجمهورة بنين، وغانا، وساحل العاج، وغيرها من الأقطار المجاورة لها[١٥٥].

وفي ذلك الإنجاز العظيم كله، يقول شاعر المركز نفسه على لسانه، حين بلغ هذه المدرسة أربعين عاما من تأسيسها، قائلاً:

ها أنا المركز إني ملجأ للورى في العلم مني يقرأ
وأروي كل غمر يظمأ بمياه العلم مني يهنأ

وكأني المنتهى والمبدأ[١٥٦]

جئت للكون وكل قلب في طلاب العلم كل يتعب
جاءني الناس، وعلمي جربوا ثم قالوا بعد إني مشرب

لي في التعليم حقٌّ يذهب

فلكم باقل عندي ينطق وهو من قبل مجيء أحمق
صار قسا يبتغيه المشرق ذا بيان لايجارى يعشق

أي معهد بشأوي يلحق

ياعظيم المن أنت الحكم علم الإنسان ما لم يعلم
أنا للإسلام ديني علم في بقائي مد أنت الأكرم

سرمداً أحيىء مئات الأربعين

وبعد تأسيس المركز، تلتها مدارس عربية إسلامية كثيرة في مدن البلاد وقراها. ولهذا المركز فروع تزيد على ثلاثمائة فرع، تتوزع في نيجيريا

وخارجها. والغرض من تأسيسها، نشر الثقافة العربية الإسلامية في الأرجاء المعمورة.

وعامل آخر، هو وجود أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات النيجيرية، إذ كانت اللغة العربية تحتل مكانة مرموقة في نيجيريا، وخاصة لدى المسلمين الذين لايقل عددهم عن سبعين مليون نسمة، وبما لها صلة ببعض اللغات المحلية، فأنشأت الحكومة الفيدرالية بجامعة إبادن قسما خاصا باللغة العربية والدراسات الإسلامية، سنة١٩٦١م[١٥٧]، وتخرج ثلاثة عشر طالبا، سنة ١٩٦٤م، بشهادة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتخرجت دفعة أخرى سنة ١٩٦٥م بالشهادة نفسها. ففي سنة، ١٩٦٧م، تخرجت أول دفعة من الطلبة الذين نالوا الشهادة الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكان عددهم حينئذ ثلاثة طلاب[١٥٨].

وتليها، جامعة بايرو بكنو، وجامعة أحمد بلو بزاريا، وجامعة عثمان بن فوديو بصكتو، وجامعة إلورن، بإلورن، وجامعة جوس، بجوس، وجامعة ميدغوري. ويرجع تاريخ القسم العربي بمعظم الجامعات المذكورة إلى عام ١٩٧٥م، ثم جامعة ولاية لاغوس، بلاغوس، وأنشأت قسم اللغة العربية فيها عام ١٩٨٤م. وفي سنة ١٩٩٩م، أسست جامعة ولاية كوغي، فأخذت اللغة العربية طريقها إلى الرقي والتقدم بالولاية[١٥٩]، وبفضل الله تعالى ومنه، فتحت الجامعة عام ٢٠٠٨م، قسم الدراسات العليا، وكان القسم العربي، ضمن الأقسام التي فتحت أبوابها لدراسة الماجستير والدكتوراه[١٦٠].

وفي هذه السنة، ٢٠٠٩م، أنشأت جامعة ولاية كوارا، وفي مقدمة الأقسام التي فتحت بغرتها القسم العربي. وهكذا دخلت اللغة العربية الجامعات النيجيرية ثم بدأت بالتدريج، تتغير، وتتطور، وتجد المحل اللائق بها كلغة حية مثل باقي اللغات الحديثة التي تدرس في الجامعات.

وقد أدرك الآن كثير من الباحثين في جامعات نيجيريا أهمية هـذه اللغـة، وضرورة معرفتها لكل من يقوم ببحث في التاريخ، أو في الموضـوعات التـي تتعلق بالحياة الثقافية الاجتماعية في نيجيريا.

الشعر العربي في هذا العصر:

إن وظيفة الشعر العربي عند الشاعر النيجيري المسلم، تنبع من منابع الدين والأخلاق، لاتنفصل عنهما أبداً. فيحس الشاعر بإسلامه قبل أن يحـس بفنـه، ويخضع أدبه لسلطة دينه لا العكس. والشعر العربي بالنسبة له أداة للدفاع عـن عقيدته السمحة، ومناصرة الحق، ونـشر الأخـلاق الفاضـلة، وقمـع الفـساد والإلحاد[١٦١]، بل هي طاقة عقلية وفنية متميزة بالـشعائر الإسـلامية المجيـدة، نشأت منذ أشرقت نيجيريا بنور ربها، واتخذت الاتجاه الحنيف منهج حياتها فـي سائر النواحي، وذلك بأن المجتمع الذي ينتمي إليه الأديب المسلم، لايقبل منه إلا النص الملتزم بشعائر هذا الدين، فسهل على المنهج الحديث، أن يلقـى جـذوراً عميقة في واقع تراثنا القديم[١٦٢].

وأصبح الإسلام في نيجيريا على حد قول البوصيري في بردته:

حتى غدت ملة الإسلام وهـي بهـم من بعد غربتها موصولة الرحم[١٦٣]
مكفولة أبـدا مـنهم بخـير أب وخير بعل فلم تيتم ولـم تئـم

اتجاهات الشعر العربي النيجيري الحديث:

لقد اتجه الشعر العربي النيجيري في هذا العصر إلى اتجاهات أخرى وقـد شرب شعراء هذا العصر من مياه الثقافة المعاصرة من وجوه شـتى، أهمهـا: اتصال نيجيريا بالدول الخارجية خصوصاً البلدان العربيـة ومنهـا الاكتـشافات الجديدة الحديثة المرئية منها والمسموعة بالإضافة إلى الدواوين الحديثـة التـي

أنتجتها قرائح العرب، ووصلت إلى نيجيريا إثـر صـدورها، وأهمهـا الـشعر السياسي، الاجتماعي، والحماسي، والهجاء، والغزل.

١- **الشعر السياسي**: الغرض الأسمى من هذا الغرض هو تـسجيل أهـم حوادث مستجدات في حقل سياسة البلاد، من آمالها وآلامها بالسياسيين. والشعر السياسي عندهم نوعان. النوع الأول: هو ماذهب به شعراء نيجيريا إلى تصوير سياسة البلاد على نحو ما يثير العواطف، والاحاسيس مـن سـوء تـصرفات السياسيين؛ أما النوع الثاني فهو ما يمس بالبلدان الأجنبية خصوصا بلاد العرب، وأميركا.

٢- **الشعر الاجتماعي**: فهو الشعر الذي يصور المجتمع النيجيري من حيث الأخلاق، والخطط، والمشكلات الاجتماعية مع الحلول لها أحياناً. ويـاتي فـي كثير من الآحايين، على طراز النقد والتوجيه للمعنيين.

٣- **الشعر الحماسي**: هو الشعر الذي يستنهض همم الناشئين، علـى كـف الفساد الشائع في المجتمع، بعد أن فشلت وسائل سلمية، فيحمس الشعراء الشباب منهم على الثورة في وجه الفساد والمفسدين في البلاد مهما يكلفهم الأمر.

٥- **الغزل**: إن من الأغراض الشائعة عند الشعراء، ولا سيما الشباب منهم هو التغزل بالفتيات، فقلما، يخلو هذا الغرض من دواوينهم. يقصد بـه الـشاعر محبوبته على طراز شعراء العرب القدامى، ولكنه من نسيج الغزل العـذري، لا من الصريح البذيء.

وهناك أغراض أخرى، لم تنل صيتا كأبواب الشعر المـذكورة، كوصـف الحرب الأهلية مثلاً، غير أن هؤلاء الشعراء، كـانوا، ولا يزالـون، يمـدحون،

ويرثون، ويصفون، ويعتذرون، في قصائدهم إلا أنهم، أضافوا، هذه الأغـراض إلى فنون الشعر المعروفة عندهم قديما. ولعل الدكتور عيسى البـي أبـو بكـر، رئيس قسم اللغة العربية، بجامعة إلورن، سابقاً، يتقدمهم في هذا العصر.

ومن عيون شعره بائية ألقاها الشاعر في المؤتمر القومي للغـة العربيـة الذي نظمه قسم اللغة العربية، بجامعة كنو، عام ١٩٨٧م، إذ قال:

يـا مرحباً بجموع الـفضل والأدب في موطن العلم والأخلاق والحسب [١٦٤]
يا معهداً [١٦٥] ينشر الآداب من سـعة يشقى الخلائق من ماء النهى العـذب
جعلت منا رجالا عز جانبهـم فازوا غداة نضال القول بالغلـب
قومت ألسننا في القـوم فائقـة حديثنا في النوادي أحسن الخطـب
بشراكم لغة القـرآن تنـشدكـم وتطلب اليوم منكم أعظـم الطلـب
أيعبث القوم في ساحات حرمتهـا وهل يعيثون بالأمجـاد والرتـب؟
هي التي ربت الأجيـال تربيـة تحفهـم بحنـان الحـب والحـدب
أنارت الدرب في جنح الظلام لهـم وآمنتهم مـن التـضليل والعـطب
هذي القصيدة أهـديها مـساهمـة مني وتقديمها من واجـب الأدب

النثر في هذا العصر:

من الواضح أن النثر العربي قد بلغ في هذا العصر ذروتـه. وقـد تغيـر، وتطور، وتحرر بعض الشيء من القيود التقليدية إلى روح العصر، في أسلوبه، وشكله. ولعل كلمة ألقاها الشيخ آدم عبد الله الإلـوري، بجامعـة إبـادن، عـام ١٩٦٢م، في مؤتمر للبحث عن طريقة تعليم اللغـة العربيـة فـي المـدارس، والكليات، خير مثال في هذا المجال، يقول فيها:

"أيها السادة، هذه خطوط عريضة، وشموع ضئيلة، أتقدم بها إلى حضراتكم، وأضعها بين أيديكم قبل الخوض في هذه المهام التي عرضت عليكم، لعلها تلقي ضوءا على تلك الدياجير، ويساعد في الحصول على نتيجة نافعة، فأقول:

لقد انطبعت اللغة العربية بطابعين اثنين، يكسبانها امتيازا خاصا على سائر اللغات الراقية، وهما الطابع الثقافي الدولي، والطابع الديني الإسلامي. أما الطابع الثقافي، فباعتبارها لغة ذات ثقافة راقية عريقة في التاريخ، ذات مكانة مرموقة في الصعيد الدولي. وبعبارة أخرى، هي لغة تتكلم بها أمم عظيمة من أمم آسيا، وأفريقيا، لاتقل عن مائة مليون نسمة.

وقد كانت ولا تزال تلعب أدواراً هامة في ميدان العلم، والتاريخ، والفلسفة، والسياسة الى الوقت الحاضر. وبالتالي هي اللغة الوحيدة في القارة الأفريقية التي تستطيع أن تتجاوب مع اللغات الراقية في آسيا، واوربا، وأمريكا، عند تفاخر اللغات.

أما الطابع الديني، فلأنها كتاب مقدس، يدعم عقيدة سماوية تؤمن بها أمة عظيمة من أمم الأرض، لاتقل عن ستمائة مليون، وهي عقيدة الإسلام التي اتخذت هذه اللغة لسانا، واعتمدت حروفه للقرآن كتابا. واعتبرت هذه اللغة صلة تربط أواصر أهل هذه العقيدة على اختلاف أجناسهم، وألوانهم. كل هذا، أضاف إلى العربية قدسية كبرى في نفوس العرب، وغيرهم من أمم الأرض، فانكبوا على تعلمها ونشرها، واعتبروا تعليمه، وتعلمها عبادة تقربهم إلى الله زلفى...."[١٦٦].

يتقمص هذا النثر لباس النثر الفني الجديد، وليس فيه سجع مثقل على اللسان، إلا ماجاء عفواً، إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على ما وصل إليه النثر الفني في هذا العصر من فصاحة لفظ، وبلاغة معنى.

ومن عظماء اللغة العربية في هذا العصر، الأستاذ الدكتور علي نائبي سويد، والبروفيسور إسحاق اوغبيه، والأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي، والأستاذ عبد الرحيم عيسى الأول، والأستاذ الدكتور حامد ثاني، والبرفيسور زكريا إدريس حسين، والأستاذ مرتضى بدماصي، والشيخ زغلول سنوسي، والأستاذ عبد الرزاق ديرمي أبوبكر، والشيخ عبد اللطيف أديكليكن[١٦٧].

٥- اللغة العربية في عصر الازدهار (٢٠٠٠م –)

قد نشط التعليم العربي نشاطا عظيما بكثرة العلماء التقليديين، والأكاديميين في الجامعات، والمعاهد الأهلية، وتقدمت اللغة العربية تقدما حثيثا، من وجوه عدة، منها:

١- أن معظم الشعب النيجيري، شعب مسلم، يعتز بإسلامه، وباللغة العربية، ووجودها في الجامعات النيجيرية، إما كقسم مستقل، وإما بالازدواج بالدراسات الإسلامية.

٢- إن السلف والخلف من أبناء نيجيريا، على درجة عظيمة بالاهتمام اللغة العربية، فاهتموا بإرسال أبنائهم إلى خارج نيجيريا لطلب العلوم العربية من ناحية، والعلوم الأخرى من ناحية ثانية.

٣- ازدياد التوعية الإسلامية بإعلان الشريعة الإسلامية من قبل بعض ولايات نيجيريا الحديثة. وبحمد لله، قد نال أكثر من ثلاثين محاضراً مواطناً درجة الأستاذية في مجال الدراسات العربية والإسلامية، وزهاء سبعين منهم نالوا درجة دكتوراه، في المجالين، بينما، وصل أصحاب الماجستير إلى ثلثمائة واحد. وما أكثر الليسانس في الوقت المعاصر !!!

ومن ناحية الشعر والنثر، فليس هنالك فروق جذرية في الإنتاج، وقد كثر الشعراء، وتعدد الكتاب، وكل منهم ينتج حسب مقدرته العلمية، وموهبته الفنية.

ومن أبرز الأدباء المعاصرين، الدكتور عيسى ألبي أبو بكر، والدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم، والدكتور مشهود محمود محمد جمبا، والشيخ حبيب الله آدم عبدالله الإلوري وآخرون(١٦٨).

بعض خصائص اللغة العربية في نيجيريا:

إن للغة العربية في نيجيريا خصائص تميزها عن غيرها منها: أنها تتسم بسمات إسلامية في الشكل والمضمون من جهة، ويستعين الكتاب بالسجع في مستهل المقالات والرسائل، وبنكت بلاغية كالاقتباس والتضمين(١٦٩) من جهة أخرى، وتقييد الحروف العربية عند حلول الحوادث بالحروف الأبجدية(١٧٠) فيرمزون بها إلى الأعداد المعينة، أو في بعض حروف الآيات القرآنية من جهة ثالثة.

ثم يقوم النابغون منهم بتخميس أو تربيع بعض الأشعار التي تنال إعجابهم في المديح النبوي، أو في الشعر التعليمي، وإن كانت البحور المطروقة في غالب الآحايين لاتتجاوز بحر الطويل، والبسيط، والوافر، والرمل، والخفيف، والكامل. وقد وجدنا ميزة أخرى في أشعارهم، وهي القصائد المهملة من النقط، نلمح هذا، كثيرا عند الشعراء الصوفيين(١٧١).

ومن خصوصياتهم أن بعض علماء نيجيريا، يجردون أسماءهم من مؤلفاتهم عمدا، فيكتفي بالمعرفة بها تلاميذهم، ورفقائهم، ومع ذلك وجد عدد كبير مِنْ اجترأ على قول شعر فأجاد، وعلى تأليف كتاب فأفاد. وأغلب الظن أنَّ حذف الأسماء، يقع عن رضا بعض المؤلفين الذين يخشون طعن الطاعنين. وقد حمل

هذا التجهيل بعض أصحاب المطابع في البلاد العربية، حيث نسبوا بعض كتب علماء نيجيريا إلى علماء العرب نسبة لا أساس لها من الصحة.

أما في النطق بالحروف العربية، فيقع الخطأ كثيرا في بعض الحروف العربية، ولعل السبب في ذلك، أن بعض الحروف غير موجودة أصلاً في بعض لغات نيجيريا. وقد ذهب غلادنثي، في كتابه "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا" إلى أن ثمانية حروف، معدومة في لغة هوسا، وهي ث، ح، خ، ذ، ض، ظ، ع، ص[١٧٢].

١- فالثاء ينطقونها سيناً، فيقولون مثلاً: سار، مسال، لبس، بدل، ثار، ومثال، ولبث.

٢- الحاء ينطقونها هاء. يقولون: الهمد، الرهمن، الرّهيم بدل، الحمد، والرحمن، والرحيم.

٣- الخاء ينطقونها كافاً أو هاء، يقولون مثلا: كالدون، أو هالدون، كرج، أو هرج، بدل خالدون، وخرج.

٤- الذال ينطقونها زاياً، مثال ذلك: زلك، زهب، بدل، ذلك، وذهب.

٥- الضاد ينطقونها لاماً، أو دالاً، أو راء فيقولون مثلاً: المغلوب أليهم ولا الآلين، أو المغروب أليهم ولا الرالين، بدل المغضوب عليهم ولا الضالين. ويقولون، مرد، الأرد في مكان مرض، والأرض، وهكذا.

٦- الظاء ينطقونها زاياً: لا يستطيع الهوساويون أن يفرقوا بينه وبين الزاي لعدم وجود هذا الصوت في لغتهم، يقولون مثلاً: زهر، الزهر، الزلام، بدل ظهر، والظهر، والظلام.

٧- العين ينطقونها همزة، وهذا اللحن شائع في نيجيريا لا تكاد قبيلة تخلص منها، فنقول، مثلاً: الأليم، وأليه، وأم، في محل العليم، وعليه، وعم.

وظاهرة أخرى تتعلق بالنطق، هي محاولة تحريك أواخر الكلمات العربية في الوصل والوقف معا. وهو الذي جعلهم يحركون أواخر الكلمات بما فيها الأسماء، ويمدونها قليلا، فيقولون: محمدو، وأحمدو، وشيخو، بدل محمد، وأحمد، و شيخ.

ومن خصائص النطق أيضا تحريك وسط الاسم الثلاثي الساكن، فيقولون البحر، والنعل، والبطن، بفتح العين بدل البحر، والنعل، والبطن بالسكون، ويحركون أيضاً الحرف الثاني من بعض الأسماء، مثل: يحيى، أو يطيلون حركة الحرف الذي قبله، ويحذفون الحرف الساكن، مثاله: آمد بدل أحمد[١٧٣].

مشكلات اللغة العربية في نيجيريا:

إن المشكلة التي تجابه العالم الإسلامي في التعليم تختلف بوجه خاص عن المشكلات التي تواجه العالم العربي. فالعالم الإسلامي بغرب أفريقيا، يعاني مشكلة تعدد اللغات ما بين اللغة الأم، ولغة الحكومة، ولغة الديانة كما في نيجيريا مثلا، ففيها عدة لغات. وقد سعت الحكومة إلى الاعتراف بثلاث منها هي: الهوسوية، واليوربوية، والإيبوية[١٧٤] ومن بين هذه المشكلات، مشكلة الغزو الثقافي.

لقد غزت الثقافة الغربية بلاد العرب أولا، قبل أن تغزو بلاد الإسلام، فهانت على العرب ثقافتهم، ولغتهم وديانتهم إلا قليلاً من المؤمنين منهم. وليس أدل على ذلك، من إقبال كثير من المثقفين العرب على من يتكلم معهم باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، دون من يتكلم معهم بالعربية من غير أبنائها، ويحتجون على ذلك بما لا مبرر له من الحجج الواهية عند من يحبون العربية[١٧٥].

وأصبحت القضية كما رأها الدكتور عيسى ألبي أبو بكر في سباعياته، إذ قال:

ألد أعدائك الأبناء يا ضاد أمر تعل له بالحزن أكباد [١٧٦]
راموا العلا، وسموم اللحن سارية في قولهم وهم بالعجز أسياد
قالوا بأنك للإعراب ميتة وقد أطاحوا الذي أسلافهم سادوا
يعيرون مساعي سيبويه وفي قلوبهم لحماة الدين أحقاد
فصحى ستحيين حتما رغم أنفهم لتستعاد إلى الأعراب أمجاد
لا تهدموا قلعة الفصحى بغيظهم بها تحصن آباء وأجداد
من يبلغ اليوم بالأحزان حافظنا يا شاعر النيل قد خانتك أحفاد

والحقيقة أن معاملة اللغة العربية بهذه الطريقة، ليس سببا لغويا كما يبدو في الظاهر، وإنما هو سبب ثقافي[١٧٧]. ولاتخلو اللغة العربية من مشكلات وصعوبات يكابدها كل من المعلم والمتعلم. أعتقد أن تذليل تللك الصعوبات غير ممكن إلا بعد دراسة وافية لحركة هذه اللغة وآدابها في نيجيريا، والوقوف على الدور الخطير الذي قامت به هذه اللغة في الماضي، ومدى أثرها في الحياة العلمية، والدينية، والاجتماعية[١٧٨].

ويُلاحظ - بالرّغم من اعتراف الحكومة بقيمة اللغة العربية- أن تدريسها لم يلق التشجيع في المدارس العامة، وخاصة في جنوب نيجيريا، إذ ليست هناك عناية لائقة بتدريب مدرسي اللغة العربية تدريباً مناسباً. ومن الحقيقة التي لاتقبل أدنى شك، أن فاعلية تعليم اللغة العربية تعتمد على شروط، وعوامل منها التدريب الخاص لمعلميها.

الاقتراحات:

بعد اكتشافنا الأمراض التي تعاني منها اللغة العربية بأنواعها المختلفة، فمن الأهمية بمكان، أن نشير إلى بعض الاقتراحات التي قد تزيل عقباتها، عاجلاً أو آجلاً.

١- يجب على كل من يقوم بتدريس اللغة العربية، والدراسات الإسلامية في كل مكان، أن يعد مهنته من أسمى المهن، وأشرف الأعمال. وعليه أن يحاول مهما كانت الظروف، ومهما كانت المحاربة النفسية، أن يرغب الناس في كلتا المادتين.

٢- يجب على الحكومة أن توفر كل الوسائل التعليمية الحديثة في المدارس العربية، لتساعد على فهم اللغة العربية، نطقاً، وكتابة، وتأليفاً.

٣- تشجيع الطلاب على استخدام اللغة العربية في قاعات الدرس، واستعداد أسئلة الامتحانات، وفي كتابة أطروحات، ورسائل أكاديمية أخرى.

٤- تطوير مناهج اللغة العربية على أن تشتمل المقامات الحريرية، والمفصورة الدريدية، ومختصر الخليل، وغيرها من بين الكتب التي كلف بها نابغوها في هذه الديار.

٥- وضع كتب خاصة لتدريس اللغة العربية، تلائم مستوى الطالب اللغوي، بوصفها لغة أجنبية.

٦- تأسيس المدارس الثانوية من قبل الحكومة والأفراد في أرجاء البلاد كلها، لتكتظ الفصول بالدارسين في جامعات نيجيريا، فعدد الطلاب الذين

يلتحقون بأقسام اللغة العربية في الجامعات، والمعاهد العليا، ضئيل جداً، خصوصا في جنوب نيجيريا.

٧- قيام المتخصصين في مجال العربية بحملة توعية في عواصم البلاد وقراها عن أهمية اللغة العربية.

٨- يجب أن تشكل لجنة تتولى اختيار الكتب المدرسية التي تناسب طلاب أقسام اللغة العربية بكليات التربية، بشرط أن تضم اللجنة مجموعة من خبراء جامعات نيجيريا، وأساتذتها الكبار.

٩- إرسال طلاب العربية إلى قرية اللغة العربية [١٧٩] بإنغالا في ولاية برنو لمزيد من التمرين على الثقافة العربية.

١٠- يجب على حكومة نيجيريا، إنشاء مطبعة تقوم بطبع كل من: مجلدات الكتب، والمجلات، والمذكرات.

١١- يجب على الدول العربية أن تقدم أدوات دراسية للمدارس العربية في نيجيريا، وإلكترونات صوتية، وغيرهما من الوسائل الحديثة، التي من شأنها أن تنهض بالثقافة العربية كما تفعل فرنسا باللغة الفرنسية في البلاد.

١٢- تزويد المكتبات بالكتب العربية من قبل البلدان العربية.

١٣- أن تقوم العرب والبلاد الإسلامية بوضع كتب خاصة للدارسين غير العرب وغير المتخصصين في اللغة العربية بألفاظ مختارة من بيئتهم، فإذا قام المسلمون أو العرب بهذه الأدوار، فإن اللغة العربية – بلا شك- ستزدهر

ازدهاراً كبيراً، وتنتشر انتشاراً واسعاً، لا في نيجيريا فحسب، ولكن في جميع البلاد الإسلامية بغرب أفريقيا بشكل عام.

مستقبل اللغة العربية في نيجيريا:

يقال: إن من يريد أن يتكهن في المسقبل، فلينظر إلى الماضي. ويصدق هذا الحديث إلى حد كبير فيما يتعلق بمستقبل اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا. فقد سبق أن راينا مدى ازدهار هذه الثقافة في القرن التاسع عشر الميلادي، في شمال نيجيريا، الذي يشكل عددا كبيرا من سكان نيجيريا، حيث ظلت اللغة العربية قرنا كاملا في الإمبراطورية الفلانية بعد أن ظلت اللغة العربية كذلك في الامبراطورية البرناوية عدة قرون(١٨٠).

ورأينا أيضا كيف سطا الاستعمار البريطاني على نيجيريا، وأحل لغته الانجليزية محل اللغة العربية منذ أوائل القرن العشرين، بذلك أنزل العربية إلى الدرجة الثانية، ثم إلى الدرجة الثالثة؛ بحكم اللغة الفرنسية التي تدرس في نيجيريا من أجل أمرين مهمين:

أولاً: إن الأقطار المجاورة لنيجيريا فرنكونية. آخِراً: إن المشاريع الاقتصادية الفرنسية كثيرة في البلاد، والتعامل معها يحتاج إلى فهم اللغة الفرنسية(١٨١)، فنرى أن اللغة العربية لن تعود إلى مكانتها الأولى إلا إذا تحركنا نحن المسلمين تحركا يحيى به أمجاد السلف، ولايتم ذلك إلا بالإقبال على دراستها، والمباهات بالانتساب إليها، والتضحية لها، والخوض مع الخائضين في ترقيتها. وإذا ازدادت ولايات أخرى من جنوب نيجيريا بالإضافة إلى ولايات شمال نيجيريا بإعلان تطبيق الشريعة الإسلامية دستوراً، فإن اللغة العربية ستعود إلى مركزها الثاني، بإذن الله تعالى وقدرته.

ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

الهوامش

١- نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٥م، ص٢١.

٢- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص المكتبة التوفيقية، الجزء الأول، سنة النشر غيرمذكورة، ص١٥٠.

٣- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٨٥م، ص١٥٠.

٤- الإلوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ص١٥١.

٥- أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣.

٦- أحمد الهاشمي، ديوان الإنشاء، بيروت، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ٢٠٠٤م، ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

٧- هو الشاعر النيجيري الملقب بشاعر الشباب، يحاضر - حالياً – بقسم اللغة العربية، بجامعة إلورن، نيجيريا.

٨- المقصود بالضاد هنا، اللغة العربية. فحرف الضاد، مختص بلغتنا، ولا يوجد في لغات العجم، ويعسر على غيرهم النطق بها.

٩- عيسى البي أبوبكر، الرياض إلورن، مطبعة ألبي الإنتاجية، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٤٩ – ١٥٠.

١٠- أحمد الهاشمي، ديوان الإنشاء، ص٣٤٥.

١١- عبد الرحيم عيسى الأول، الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب أفريقيا، لاغوس: مطبعة فاتا برم، ط١، ١٩٩٩م، ص١٧٥.

١٢- الأول، الكشاف، ص١٧٥.

١٣- الأول، الكشاف، ص١٧٥.

١٤- الأول، الكشاف، ص١٧٦.

١٥- تفيد التقارير أن اليورباويين إنما أطلقوا على دين الإسلام دين مالي، لأنهم تعارفوه على أيدي المالويين الذين امتلكوا الجزء الأكثر من غرب أفريقيا في القرن الثالث عشر الميلادي.

١٦- الأول، الكشاف، ص ١٧٦.

١٧- آدم عبد الله الإلوري، لباب الأدب: قسم الشعر، لاغوس: مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيغى، ط٢، ١٩٨٠م، ص٥٢.

١٨- اخذنا هذه القطعة من مقالة قدمها البروفيسور عبد الرحيم عيسى الأول بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغي، أينبا، عام ٢٠٠٦م بعنوان "اللغة العربية بين تدمير خصومها، وتعمير حماتها في أفريقيا" ص١.

١٩- انظر مقالة كتبها الدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم في مجلة منظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، المجلد التاسع، عام ٢٠٠٦م، بعنوان "اللغة العربية في ظل الصراعات اللغوية والثقافية في نيجيريا" ص٩١.

٢٠- آدم عبد الله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م، ص١٤٣- ١٤٤.

٢١- وأكثرهم يسكنون في شمال نيجيريا. ولهم ولايات متعددة منها: ولاية سكتو، وكيبي، وزنفرا، وكثينا، وغومبى، وكنو، وأداماوا،وجيغاوا، ،كدونا، وهلم جرا.

٢٢- هم قبيله مشهورة في غرب أفريقيا عامة، وفي أصل الفلانيين أقوال منها: إنهم من الفرس، نزحوا إلى آسيا، ومنها: إنهم من اليهود. ومنها: إنهم

من الروم. ومنها: إن نسبهم يرجع إلى العرب. وهذا القول الأخير منسوب إلى آل فودي. وقد نقله الشيخ عثمان وأخوه عبد الله بن فودي، ومحمد بلو عن أجدادهم، وعلمائهم الثقات، حيث قالوا إن الجد الأعلى لقبيلة فلانه عربي، هو عقبة بن نافع الصحابي الجليل، وأن الأم العليا لهم، رومية تدعى بج مج، وهي بنت ملك لإحدى قبائل الروم، تزوجها عقبة، وأنجبت لهم أربعة أولاد، صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها. ومن الغريب أنهم متوزعون في بلاد غرب أفريقيا عامة، كأنهم تواصوا بذلك فيما بينهم منذ مئات السنين قبل ولادة ابن فودي الذي نظم صفوفهم، وقاد جنودهم إلى النصر، وأسس بهم دولة إسلامية، سجلها التاريخ، وسمع بها العالم كله.

٢٣- إن البرناويين مملكة عظيمة حول بحيرة تشاد. وهم قوم من البرابرة السود ثم انتزعها منهم قوم من العرب المعروفين بالكانميين، عام ١٠٠٠م. ولم تلبث أن صارت امبراطورية عظيمة، امتدت غلى ضفاف النيجر جنوبا، وإلى حدود مصر والحبشة شرقا وشمالا، وإلى قلب الصحراء غربا. بلغت برنو أوج مجدها في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي. وكانت متصلة اتصالا وثيقا مع مصر، وتونس، وغيرهما من بلاد العرب.

٢٤- النوفويون هم الذين يقطنون بولايات نيجر، وجزء من ولايتى كوارا، وكوغي بنيجيريا. يبلغ عددهم نحو عشرة ملايين نسمة. تتميز هذه القبيلة بتعدد الزوجات، ونظام الأسرة المديد، واحترام الضيوف.

٢٥- تقع بلاد إيبو على حدود بنوى الغربية، وحدود مصب نيجر الشرقية. ولقد عرف أهلها الإسلام مع بدء التجارة بينها، وبين قبائل هوسا الذين يشكلون جاليات صغيرة في مدنها الكبار في اونشا، وأينوغو، وغيرها من البلاد.

٢٦- إن قبيلة يوربا، عبارة عن إمبراطورية واسعة، تمتد من جنوب نهر نيجر إلى حدود بينوى، وتكتسح بلاد بنين إلى المحيط الأطلسي، حتى الداهومي، وفانتي، وأشانتي. كانت عاصمتها أويولى. ويحمل ملكها لقب ألافن،

ومعناه: صاحب القصر. ومن أخلاقهم المشهورة الأثرة، والفخر إلى جانب الذكاء، والنجدة، والمحافظة على تقاليد الأسلاف، والأجداد. وهم أسبق قبائل نيجيريا إلى التعليم الإنجليزي.

٢٧- الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص ١٤٤- ١٤٥.

٢٨- الإلوري، لباب الأدب، ص٣.

٢٩- السابق نفسه.

٣٠- آدم عبد الله الإلوري، الدين النصيحة، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦م، ص١٧ – ١٨.

٣١- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ -١٩٦٠م، بيروت، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ط١، ١٩٧٢م، ص١٤٧.

٣٢- هو الشيخ محمد الأمين الكانمي، ولد بفزان من أب عربي، وأم كانمية، حَجَّ، وأقام مدة بين المدينة المنورة، ومصر، وفاس، والأزهر الشريف، طالبا. وكان من الأبطال البواسل، والعلماء الأعلام في نيجيريا. وقد أنشأ معهدا كبيرا في بلده "كانم" أولا ثم في "كوكاوا" في أواخر القرن الثامن عشر. وقد كان عالما متفننا بلا أدنى شك. وقد أكسبه علمه عددا كبيرا من الطلبة، وكان نفوذه في مملكة برنو لايقل عن نفوذ الشيخ عثمان في مملكة هوسا، توفي عام ١٨٣٥م.

٣٣- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص١٤٧ – ١٤٨.

٣٤- موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، مشكلات اللغة العربية في نيجيريا، مجلة الفيصل الأدبية، الرياض، دار الفيصل الثقافية، المجلد الرابع، ١٤٢٩ هجرية، ص٣٦.

٣٥- آدم عبد الله الإلوري، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم،القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٨٨م، ٢٣٩.

٣٦- أبيكن، مشكلات اللغة العربية في نيجيريا، ص ٣٦.

٣٧- السابق نفسه.

٣٨- مرتضى أ. بدماصي، مستقبل اللغة العربية في نيجيريا لاغوس، مكتب المنشورات الإسلامية، ط ١، ١٩٩٦م)، ص ٨.

٣٩- وقد صرحت الأمم المتحدة أمام الجمهور في جلساتها العامة، أنها إحدى اللغات المعترف بها لتكون لغة اقتصاد، وتجارة، وعلم، وطب. ولذلك، نراها مكتوبة على معظم الأدوات المستهلكة، مثل: الأدوية، والصابون، والفواكه، والأدوات السلكية، واللاسلكية.

٤٠- أقر بهذه المعلومات، الأستاذ علي نائبي سويد، في ورقة قدمها إلى مركز الدراسات الإسلامية بولاية كنو، بعنوان "دور المدارس العربية في الديار النيجيرية"، أغسطس، ١٩٨٧م، ص٥.

٤١- انظر: ورقة قدمها الأستاذ البرفيسور علي نائبي سويد، ص٥.

٤٢- لقد أحصيت أكثر من مائة كلمة في اللغة اليورباوية، كلها عربية لفظاً ومعنى. ولايمكن بأي حال أن تتحد مائة كلمة في لغتين مختلفتين، فيعتبر ذلك من المصادفات، أو الاستعارات، أو تداخل اللغات.

٤٣- ليست لغة هوسا، وفلانه، أختين ولابنتين للعربية، ولكنهما لغتان مستقلتان، وجدتا في اللغة العربية ما يسد حاجتهما. ولم تقتصر اللغتان على استعارة الكلمات الدينية، والحضارية فحسب، بل استعارتا أيضاً حروفها وأرقامها. وقام رجال الدين، بترجمة الأمور الدينية إلى اللغتين؛

ليقربوها إلى أفهام الذين لايعرفون اللغة العربية. انظر: الثقافة العربية في نيجيريا للدكتور علي أبوبكر، وموجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الإلوري.

٤٤- الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص١٤٣.

٤٥- أحمد الله الملك، الذي عمنا جميعا بهباته، ولم يخصص في الدنيا.

٤٦- أعطى المسلم كما أعطى الكافر في هذه الدنيا، ولم يفضل واحدا على الآخر.

٤٧- هو الملك الذي يخص الصالحين برحمته، يوم القيامة، دون غيرهم.

٤٨- هو الذي خلق محمداً المنقطع النظير، ولم يخلق مثله، لا في الأول، ولا في الآخر.

٤٩- ومعروف أنه أول الرسل، وآخرهم، إذ لا نبي بعده.

٥٠ – أحمده وهو الحنان الذي خلقني بمحض فضله، وهو الستار الذي سترني والمنان.

٥١- الحمد لله، أحمده كما يستحق أن تحمده الخلائق والإخوان.

٥٢- أثني عليه كما أثنى على نفسه، وهو الذي استوى على العرش على مر الملوان.

٥٣- أثني على من أحاط بضعفي، وأنعم علي، وستر عيوبي كلها. وهو الذي سمى نفسه بالرحمن.

٥٤- سبحان الذي استغنى بذاته، وصفاته، ليس له أولية، ولامكان.

٥٥- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٣٤٩.

٥٦- السابق نفسه، ص٣٧٨.

٥٧- السابق نفسه، ص٣٨٣.

٥٨- آدم عبد الله الإلوري، الصراع بين العربية والانجليزية في نيجيريا (القاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، ط١، ١٤١١ هجرية)، ص٩.

٥٩- الإلوري، الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا، ص٩.

٦٠- السابق نفسه، ص٢٣.

٦١- الإلوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ص١٥٣.

٦٢- السابق نفسه.

٦٣- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا.

٦٤- المقصود بالوزير هنا هو منصب علمي ديني، يتولاه من له قرابة بأمير المؤمنين بسكتو – مقر الخلافة العثمانية - ولا يتولاه إلا عالم كبير، تقي صالح، وإن كانت تنحصر في بيت معين، لأنه يصير بتعينه اليد الأيمن للسلطان.

٦٥- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص١٥٥.

٦٦- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني لاغوس، مطبعة الثقافة الإسلامية بأغيغى، ط٣.

٦٧- آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩١م، ص٥٨.

٦٨- شيخو احمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الرياض: شركة العيكبان للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٣م، ص٨٣ – ٨٤.

٦٩- بلد إسلامي قديم في شمال نيجيريا، وقد اشتهر بالعلم، والتجارة منذ أمد بعيد، يقول عمر إبراهيم وصفا لها:

كنو جمعت علم شرق وغرب ففازت بسهمين بين السهام
ترى الطائرات تعاودها أتت من أوروبا ومصر وشام
لها ارتباط بأم القرى بحب السماء لزور المقام
أباريس حوسا، وعاصمة الشمال عليك دواما سلام

٧٠- سميت هذه المدرسة في أيامها الأولى بمدرسة الشريعة الكبرى.

٧١- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٨٤.

٧٢- الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص١٥٢.

٧٣- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٨٤.

٧٤- السابق نفسه.

٧٥- محمد رجب البيومي، النصوص الأدبية، الرياض، إدارة الأبحاث والمناهج والكتب المدرسية، ١٩٩٧م، ص١٢٧.

٧٦- آدم عبد الله الإلوري، تاريخ الدعوة إلى الله، ص٢٤٦.

٧٧- الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص١٠٥.

٧٨- وقد صدرت من الجمعية ما تزيد على عشرة مجلدات من يوم بدئها.

٧٩- دستور جمعية معلمي الدراسات العربية الإسلامية في نيجيريا (نتائس) الصادر عام ٢٠٠٠م، ص٢-٣.

٨٠- هو الأستاذ الكبير بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إلــورن، نيجيريــا، ورئيس القسم العربي سابقاً، وهو العميد الحالي بكلية الآداب بالجامعة نفسها زاده الله صحة.

٨١- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٥٩.

٨٢- والبرابرة هم حملة الثقافة الاولى من شمال أفريقيا إلى غربهــا، وحملــة الثقافة من الديار المصرية إلى ما وراء الصحراء حتى المحيط الأطلسي.

٨٣- آدم عبد الله الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية فــي الــديار النيجيريــة، ط١، ص١٢.

٨٤- الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص١٢.

٨٥- السابق نفسه، ص١٣.

٨٦ – السابق نفسه.

٨٧- – الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص٥.

٨٨- زكريا إدريس حسين، المأدبة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا الغربيــة اوتشي، دار النور للثقافة العربية والإسلامية، ط١، عام ٢٠٠٠م، ص١٧٥.

٨٩- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص ٦١.

٩٠- السابق نفسه، ص٦١ – ٦٢.

٩١- السابق نفسه، ص٦٤.

٩٢- الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص١٣٢.

٩٣- السابق نفسه، ص١٣٣.

٩٤- وقد ذكرها الإلوري في بعض مؤلفاته كالإسلام فــي نيجيريــا، ومــوجز تاريخ نيجيريا وأمثالهما، والشيخ عبد الله بن فوديو فــي بعــض انتاجاتــه: كضياء السياسات، وفتاوى النوازل وغيره.

٩٥- موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبي أبي بكر، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، نال بها الكاتب درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بقسم اللغات الأجنبية، وحدة اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية لاغوس، عام، ٢٠٠٧م، ص٤٧.

٩٦- أبيكن، الاتجاهات الوجدانية في شعرعيسى ألبي أبي بكر، ص٤٧.

٩٧- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٦٥.

٩٨- السابق نفسه، ص٦٧.

٩٩- حسين، المأدبة الأدبية، ص١٧٥ – ١٧٦.

١٠٠- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٦٩.

١٠١- أبوبكر، الرياض، ص١٤٦.

١٠٢- أضنى بمعنى لزم الفراش من المرض الشديد. ويقصد أن المدرس يشتاق إلى تلك المدارس، شوقا يضنيه.

١٠٣- عبد الله بن فوديو، تزيين الورقات كنو، مكتبة أبوبكر أيوب، ١٣٨٣هجرية، ص٢٠.

١٠٤- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص١٥٦.

١٠٥- السابق نفسه، ص٢٩٧.

١٠٦- الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص ٢٠.

١٠٧ – السابق نفسه.

108- A.I. Lawal A Critical Edition of Muhammad Bell,s SARD AL – KALAM FIMA JARA BAYNANA WA BAYNA ،A bd al – SALAM ، A Master,s Disartation ،Sumitted to University of Ibadan ، Dep. of Arabic and Islamic Studies ،1984, p8

١٠٩- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص٣٢٣.

١١٠- السابق نفسه، ص٣١٨

١١١- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ١٠٣ -١٠٤.

١١٢- الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص٢٩ -٣٠.

١١٣- هو من كبار العلماء في عهد الشيخ عثمان بن فوديو.

١١٤- الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص٣٠.

١١٥- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٠٤.

١١٦- السابق نفسه، ص ١١٢.

١١٧- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص١١٦.

١١٨- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٣٤١.

١١٩- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٢٦٤.

١٢٠ – غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١.

١٢١- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٣٣٧.

١٢٢- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٣١.

١٢٣- السابق نفسه، ص١٣٣- ١٣٤.

١٢٤- حسين، المأدبة الأدبية، ص١٧٧.

١٢٥- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٧٥.

١٢٦- السابق نفسه، ص١٤٣.

١٢٧- الإلوري، الصراع بين العربية والإنجليزية، ص٦.

١٢٨- الإلوري، الصراع بين العربية والإنجليزية، ص٦.

١٢٩- غلادنث، حركة الغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٤٤.

١٣٠- الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية، ص٩.

١٣١- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٤٨.

١٣٢- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ص١٥٢.

١٣٣- السابق نفسه، ص١٥٧.

١٣٤- الوزير الجنيد السكتي من كبار علماء نيجيريا له مؤلفات تزيد على ستين كتابا، منثورا ومنظوما. وقد فاز بأوسمة عدة، منها: الدؤلية، ومنها: الوطنية. عاش ما بين عام١٩٠٦ -١٩٩٧م.

١٣٥- أخرجنا هذه القطعة من مخطوطاته الشعرية، ص٢٤.

١٣٦- سافر الشيخ الوزير جنيد إلى الخرطوم، عام ١٩٤٥م، مع وفد أرسلته الحكومة النيجيرية إلى السودان والحجاز للنظر في أمر الحجاج، وخاصة الذين يعجزون عن الرجوع إلى أوطانهم بعد أداء فريضة الحج لأسباب مالية، أو صحية.وكان قد بلغ الحكومة أن حالة أولئك كانت سيئة في الحجاز، والسودان.

١٣٧- يشير الشيخ بذلك رائية قالها الوزير في وصف الكهرباء.

١٣٨- آدم عبد الله الإلوري، أشعة العقول والنقول، لاغوس: مطبعة الثقافة الإسلامية بأغيغى، ط١، ١٩٨٨م، ص٢١.

١٣٩- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٧٩.

١٤٠- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص٢٩٨.

١٤١- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٨٤.

١٤٢- لما أتى خبر قدوم الإنجليز إلى أهل سكتو، اجتمع النـــاس، وتـــشاوروا فيما بينهم، واختلفت آراؤهم، فمنهم من رأى وجوب الصلح معهم، ومـــنهم من من فضل قتالهم، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا. ورأي ثالـــث يـــرى الهجرة إلى الشرق قبل وصولهم. وكان أمير المؤمنين، يميـــل إلـــى هـــذا الرأي. فعزم على الهجرة، وبدأ الناس يستعدون لها، وقبل الهجرة، ســـمعوا بوصول الإنجليز، فاستعدوا للقتال، وخرجوا، وعسكروا بعد أن أدوا فريضة الجمعة، ينتظرون أعداءهم، ولكن الإنجليز، لم يصلوا إلا صـــبيحة الأحـــد. فتقاتل الجيشان، وتقاتلوا حتى، انهزم جيش سكتو، وبعد ذلك، تفرق النـــاس. فاتجه أمير المؤمنين وطائفة من الجيش إلى الشرق، حتى وصل إلى بلـــدة ببرم، حيث لحقه الإنجليز، فقاتلوه هناك.

١٤٣- اقتطفنا هذه القطعة من رسالة كتبها الوزير السكتي إلـــى أهـــل العلـــم والتدبير، ص١.

١٤٤- وهو الأستاذ عمر إبراهيم. ألقى هذه الكلمة عند ما كـــان طالبـــا، فـــي مدرسة العلوم العربية بكنو، التي يرجع تأسيسها إلى عام ١٩٣٤م.

١٤٥- اقتبسنا هذه القطعة من مخطوطات الكاتب بمكتبته الخاصة.

١٤٦- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٨٧.

١٤٧- حسين، المأدبة الأدبية، ص ١٧٨ – ١٧٩.

١٤٨- أعلن استقلال نيجيريا، في أول أكتوبر، عام ١٩٦٠.

١٤٩- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٨٩.

١٥٠ – بدماصي، مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، ص١٠.

١٥١- غلادنث ،حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٩٠.

١٥٢- مقالة كتبها البروفيسور عبد الغني عبد السلام اولادوشو، بعنوان " إعادة النظر في مناهج المدارس العربية الخاصة في بلاد يوربا " في كتاب صدره الأساتذة العربية والإسلامية في تكريم الأستاذ البروفيسور إسحاق اوغنبيه، عام تقاعده من العمل الأكاديمي. عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية:

AN UNFAMILIAR GUEST IN A FAMILIAR HOUSEHOLD. 2003. P180.

١٥٣- أولادشو، AN UN FAMILIAR ، 181.

١٥٤ - آدم عبد الله الإلوري، تقارير أعمال مركز التعليم العربي الإسلامي، منشورات مطبعة مركز العلوم، ط١، ١٩٩١م، ص١.

١٥٥- الإلوري، تقارير أعمال مركز التعليم العربي الإسلامي، ص١٠ ١١.

١٥٦- عبد الرحمن عبد العزيز الزكوي، نشر الياسمين في قصائد الأربعين، لاغوس: مطبعة مركز العلوم، ط١، ١٩٩١م، ص١.

١٥٧ – غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص٢٢٥.

١٥٨- السابق نفسه، ص٢٢٧.

١٥٩- ثالث أبوبكر عبد الله، حركة اللغة العربية في أرض إغالا بولاية كوغي، نيجيريا شركة ألومس للنشر بإلورن، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٨.

١٦٠- عبد الله، حركة اللغة العربية وآدابها في ارض إغالا، ص٣٧.

١٦١- مشهود محمود محمد غمبا، القيم الخلقية في الشعر العربي المعاصرفي مدينة إلورن الأدب الإسلامي في نيجيريا: ماضيه وحاضره، إلورن، مطبعة ألبي الإنتاجية، ط٢و، عام ٢٠٠٣م، ص٨٠.

١٦٢- عبد الباقي شعيب أغاكا، الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، إلورن، مطبعة ألبي الإنتاجية، ط٢،عام ٢٠٠٣م، ص٨٠.

١٦٣- شرف الدين محمد البوصيري، بردة المديح المباركة، الناشر، الحاج عبد الله، اليسار: مكان النشر وتاريخه غير مذكورين، ص١٣.

١٦٤- أبوبكر، الرياض، ص ١٤٧- ١٤٩.

١٦٥- جامعة بايرو بكنو.

١٦٦- مقتبس من ورقة وزعت في المؤتمر بمدينة إبادن.

١٦٧- حسين، المأدبة الأدبية، ص١٨١.

١٦٨- السابق نفسه.

١٦٩- التضمين وهو أن يضمن الشاعر شيئا من نظم غيره، مع التنبيه عليه، إن لم يكن من الأشعار المشهورة.

١٧٠- قد يكتبون أحياناً لفظ (حطي) في النثر والشعر، ويقصدون به إلى أن الحاء، يقوم مقام ٨، والطاء ٩، والياء ١٠.

١٧١- وأول من تعاطى هذا النوع من الشعر فيما نعلم الشيخ محمد الناصر الكبري حيث يقول في مسرح المدح النبوي:

محمد أحمد المحمود حامده الـ ـ معلى، الروح أسرارا وأحكاما
أحدو مدائحه عسى أحوط لها لدى إله الورى المعطاء إكراما
ماأرسل الله أعلى سرمدا أحدا كأحمد العلم المعلوم إعلاما

وهكذا بنى الشاعر ميميته بلانقط في القصيدة. إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن للغة العربية نصيب وافر عند بعض مثقفيها.

١٧٢- غلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٩٠.

١٧٣- السابق نفسه، ص ١٩٥.

١٧٤- أبيكن، مشكلات اللغة العربية في نيجيريا، ص٣٥.

١٧٥- الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص٣٥.

١٧٦- عيسى ألبي أبوبكر، السباعيات، القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٩٢.

١٧٧- حمزة إشولا عبد الرحيم، اللغة العربية في ظل الصراعات اللغوية والثقافية في نيجيريا، ص٩٤.

١٧٨- - أبيكن، مشكلات اللغة العربية في نيجيريا، ص٣٥.

١٧٩- هي قرية بولاية برنو، اختارتها الحكومة لطلاب اللغة العربية، لأن سكانها الأصليين من قبيلة عربية تعرف بشوا لتسد نفقات الحكومة من إرسال طلاب العربية إلى خارج نيجيريا لعام دراسي كامل. وبنيت قرية اللغة الفرنسية في بدغيرى بلاغوس، لأنها قريبة من جمهورية بنين التي هي إحدى الدول التي استعمرها الفرنسيون قديماً.

١٨٠- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٤٧٠.

١٨١- حمزة إشولا عبد الرحيم، اللغة العربية في ظل الصراعات اللغوية والثقافية في نيجيريا، ص٩٣.